



الأمم كـتابة

مِيسِلة دَوْرِيَّة تصدُر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطرو

العدد: ٩٥ جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ السنة الثالثة والعشرون

من أساليب الإقناع في القرآن الكريم

د. معتصم بابكر مصطفى

أساليب الإقناع
في القرآن الكريم

د. معتصم بابكر مصطفى

الطبعة الأولى
جمادى الأولى ١٤٢٤هـ
تموز (يوليو) ٢٠٠٣م

د. معتصم بابكر مصطفى
أساليب الإقناع في القرآن الكريم
الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٣م.
١٤٤ ص، ٢٠ سم - (كتاب الأمة، ٩٥)
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٣٦٤ / ٢٠٠٣
الرقم الدولي (ردمك): ٩ - ٦٥ - ٤٨ - ٩٩٩٢١
أ. العنوان ب. السلسلة

حقوق الطبع محفوظة

لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بدولة قطر

www.Islam.gov.qa

E. Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa

موقعنا على الإنترنت :

البريد الإلكتروني:

ما ينشر في هذه السلسلة يعبر عن رأي مؤلفيها

قال تعالى:

﴿... قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

(سورة النمل)

تقديم

عمر عيد حسنه

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيراً،
وجعل معجزة الرسالة الخاتمة (القرآن) معجزة عقلية برهانية بيانية،
وعرفانية في الوقت نفسه، خالدة ممتدة، مستمرة الإعجاز والإقناع،
مجردة عن حدود الزمان والمكان، مخاطبة لعقل الإنسان، متميزة عن
سائر معجزات النبوة التاريخية، التي جاءت مجسدة بفعل بشري خارق
للعادة، مرتبطة بأشخاص الأنبياء، مؤقته بوجودهم، الأمر الذي يشير
إلى أن النسبوات السابقة كانت خاصة بأقوام بعينهم، وأزمان
بذاتها، وأن الإيمان بالنبوة والمعجزة ممن لم يعاصرها ويشهدها هو
نوع من الإيمان بالغيب، من بعض الوجوه، وفي ذلك حكمة بالغة.
ذلك أن الإنسان في تطور حياته وأطواره، منذ النبوة الأولى، وحتى
الرسالة الخاتمة، حيث بلغت البشرية طور الرشد العقلي، كان يتطلب
معجزات حسية مجسدة، ميسرة الإدراك؛ لأن الانتقال من التجسيد إلى
التجريد، ومن الذات إلى القيمة، ومن الفعل المجسد المنظور الملموس إلى
المنهج المدرك، يتطلب رشحاً بشرياً، وتفكيراً وتفكيراً، وقدرة على
الملاحظة والمقارنة والمقايسة والاستدلال والبرهان، لتجاوز الصورة إلى

الحقيقة، واختيار الصواب للوصول للتي هي أقوم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء: ٩).

فالقُرآن معجزة الرسالة الخاتمة، هو معجزة عقلية فكرية برهانية بيانية - كما أسلفنا - لذلك كانت إحدى التحديات والعظات: الدعوة إلى التفكير والتفكير المجرد، والنظر، للوصول إلى الحقيقة: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَجْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ ثَمَرٍ مُّثْقَلٍ ﴾ (سبأ: ٤٦)، وبذلك كان القرآن معجزة خالدة تخاطب عقل الإنسان، أينما كان ومتى كان، ومن هنا أدرك الشاعر هذا المعنى عندما قال:

جاء النبيون بالآيات فانصرفت وجئتنا بحكيم غير منصرم
والصلاة والسلام على الذي أوتي جوامع الكلم، وكان محلاً لتلقي القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّا سُلِّقْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل: ٥)، فكان بذلك إمام البيان وترجمان القرآن، وحسبنا قولة السيدة عائشة رضي الله عنها: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» (أخرجه الإمام أحمد)، الذي أيده ربه بالكثير من المعجزات الحسية المجسدة، التي تجلت لأنظار البشرية كسائر الأنبياء السابقين، إلى جانب معجزة القرآن، لتكون دليلاً على نبوته في بناء القاعدة البشرية الأولى، لكن ذلك جميعه لم يعتبر من المعجزات الخالدة الممتدة على الزمان في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته.

ولقد أكد عليه الصلاة والسلام هذا المعنى للمعجزة بقوله:
«مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ
الَّذِي أُوتِيَ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ» (أخرجه البخاري).

وبعد:

فهذا كتاب الأمة الخامس والتسعون: «أساليب الإقناع في
القرآن الكريم» للدكتور معتصم بابكر مصطفى، في سلسلة الكتب
التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية بدولة قطر، في محاولة لاسترداد دور القيم، في الكتاب
والسنة، والانطلاق منها في الحوار الحضاري والمجاهدة الفكرية
وصياغة حياة الناس وإعادة تشكيلهم الثقافي، وتحقيق الخلود
واستمرار العطاء، الذي يعتبر من أخص خصائص الرسالة الخاتمة
والمعجزة الخالدة، وامتلاك القدرة على الإنتاج، مستهدين في ذلك
بمنهج السيرة النبوية في تعاملها مع القرآن، التي جسدت قيم الوحي
في واقع الناس، وأقامت البناء من خلال عزمات البشر، ومستصحين
للتاريخ والتراث الإسلامي بكل غناه وعبره وتجاربه.

ذلك أن الإشكالية -فيما نرى- تتمثل في عدم القدرة على تحديد
موقع التأسيسي وبكيفية التنزيل القرآني على واقع الناس من خلال
مسيرة السيرة الطويلة، مع قلب الظروف وتطور الإمكانيات المختلفة،

وامتلاك القدرة على وضع الحاضر بكل مكوناته وإمكاناته في الموقع المناسب، الذي يشكل محل الاقتداء في هذه المرحلة وتلك الإمكانيات من مسيرة السيرة، والاجتهاد في اختيار الحكم المناسب، والاهتداء بالسيرة لتنزيل الآيات القرآنية على واقع الناس، من خلال استطاعتهم، وبيان حدود التكليف، وإدراك مواصفات الخطاب القرآني، وتوفير شروط محل التكليف، والقدرة على التمييز بين التنزيل المشار إليه المنوط بتوفر الاستطاعة، وبين الإسقاط الخطير للآيات والأحاديث على واقع لم تتوفر له الشروط المطلوبة للتكليف.

هذا من جانب، ومن جانب آخر نعتقد أنه لا بد من إزالة الالتباس بين اجتهادات البشر ونصوص الوحي، ذلك أن الاجتهادات مع أنها من عطاء الوحي إلا أن ذلك لا يمنحها القدسية والعصمة التي تجعلها محلاً للاقتداء والتأسي والتنزيل، وإنما تبقى محلاً للعبارة والعظة والتجربة.. فالمشكلة تكمن في الخلط بين قول الشارع في الكتاب والسنة وفهم الشارح في التراث؛ الخلط بين الذات والقيمة، والنكوص عن التجريد، الذي يعتبر محور المعجزة القرآنية والذي يعني أهلية الرشد، إلى التجسيد الذي يمثل مرحلة الانتكاس والطفولة العقلية.

ولعل اعتماد القرآن ليكون معجزة الرسول ﷺ أو معجزة الرسالة الخاتمة دون سائر المعجزات المادية المجسدة، التي اشترك فيها الرسول ﷺ

مع سائر الأنبياء من قبله، ولما نراها نحن، وإنما نؤمن بها إيماننا بالغيب عن طريق الخبر الصادق، يعتبر ذا دلالات متعددة في هذا الموضوع.

فالتجريد الذي تميزت به معجزة الرسالة الخاتمة (القرآن) هو نوع من التخصيب الذهني والنمو العقلي، الذي يعتبر من أعلى مراتب العقل، كما يعني - فيما يعني - القدرة الذهنية والفكرية على النظر من خلاله إلى الأشياء المجسدة والواقعة، ومعايرتها، وامتلاك القدرة على تقويمها، فالتجريد قيمة ومعيار ممتد، والتجسيد تجل وذات تشكل حيزاً في الزمان والمكان.. وبذلك فالتجريد خالد، محله الإنسان العاقل المكلف.

والقرآن، المعجزة المجردة، أول ما يخاطب العقل ويرتقي به لأعلى مراتبه، ويدعوه للاستعمال والتشغيل والتفكير، ليصل إلى القناعة، ويصبح قادراً على التمييز والمقايسة والاستنتاج والمقارنة، وهي من أهم أدوات الإقناع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شَيْءٍ وَفِرَادَىٰ تُرٌّ تَنْفَكِرُونَ﴾ (سبأ: ٤٦)، فالقناعة تأتي ثمرة للدليل والبرهان المتولد من النظر.

ولم يكتف القرآن بمخاطبة العقل، وإنما وضع الإنسان، بكل

حواسه ووعيه، في المناخ العلمي، ولفت نظره إلى الأشياء من حوله،

ودعاه إلى التأمل والنظر فيها، للوصول إلى اكتشاف السنة والقانون الذي ينتظمها؛ ولم يقتصر على ذلك، بل درّبه أيضاً على آليات وكيفيات النظر في الآيات، واستنتاج القانون، الذي هو طريق الوصول إلى الحق: ﴿سَتْرِيَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣)، فميدان النظر الفسيح الذي فتحه القرآن أمام الإنسان هي آيات الآفاق والكون، بكل أبعاده وكل ما فيه، وآيات الأنفس بكل أغوارها وكل طواياها، ومنحه الأبجديات لهذا النظر وهذه القراءة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١).. فقوانين الأشياء والأفلاك والعلوم الطبيعية مطردة، وليست عبثية، وكذلك قوانين العلوم الاجتماعية والإنسانية، فهي ميادين فسيحة للنظر والاعتبار واكتشاف السنن.

ولعل دعوة القرآن إلى النظر في قوانين الأشياء والآفاق والأكوان كمرحلة أولى تقع تحت الحواس، هي السبيل لإدراك قوانين الأفكار والاجتماع والإنسان، ومن هنا قُدِّمت رؤية آيات الآفاق في الآية على رؤيتها في الأنفس، لتكون أحد السبل للوصول إليها؛ وهي في النهاية قوانين واحدة منسجمة ومتوازية، مبرأة من الارتطام والاصطدام، الأمر الذي يؤكد أن مصدرها واحد، هو الحق المطلق،

سبحانه وتعالى، وبذلك تصبح هذه الحقيقة: الإيمان بالله واجب الوجود من الناحية العقلية.

وبالإمكان القول هنا: بأن القرآن الذي كان البوصلة والدليل والمحرك لعقل الإنسان، كان محور هذا التراث الفكري العظيم، وهذا الإنتاج الثقافي والعلمي والعقلي على مدى خمسة عشر قرناً؛ فكل الإنتاج المعرفي تمحور حول القرآن، وارتكز إلى القرآن، وانطلق من مرجعية القرآن، وتحرك في جميع المجالات في مناخ القرآن، بما في ذلك الإنتاج العلمي التجريبي، الذي يأتي ثمرة النظرة العلمية لعالم الأشياء والأكوان، واكتشاف نواميسها، وكل يوم يتكشف جديد يزيد اليقين والقناعة بما يمنحه القرآن من رؤية، وكل يوم تدافع سنة بسنة وقدر بقدر، وتتقدم الرحلة العلمية بالدفع القرآني لعقل الإنسان، والدفق الإنساني في حواسه ومشاعره.

بل قد نقول أيضاً: بأن الجدلية المعرفية، التي تعتبر المحرك الأساس لعملية الكشف العلمي، كانت وليدة طبيعية للمعجزة المجردة (القرآن)، وتحريضها الذهني، سواء كانت دفاعاً عن القرآن وبياناً لمعانيه أو دفاعاً لحقائقه ورؤيته.. فالقرآن هو المحرك الذهني الذي ينظم المعادلات العقلية في كل الأحوال؛ ولعل هذه الجدلية هي التي أدت إلى وفرة الإنتاج الثقافي عموماً.

فالمعجزة المجردة (القرآن) لم تأت لتشل الطاقة وتوقع الإنسان في العجز عن الفعل، وتلغي العزيمة، وتعطل القدرة الذهنية، وتطفئ الفاعلية، وتؤدي إلى الاستنقاع الاجتماعي والجمود الذهني والعقلي والاستسلام، والانتهاز إلى الجبرية الذهنية، وهذا منحى جدير بالتأمل، بل كانت سبباً في استنفار العقل، وتشغيل الحواس، وتحريك القوى الفاعلة بالإنسان، وتفجير الطاقات الكامنة فيه، وبناء القناعة العقلية، والوصول إلى الصواب، ولفت النظر إلى ما يمتلك من مؤهلات انطوى فيها الكون كله:

وتحسب أنك جرّم صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر

هذا الانطواء للعالم الأكبر في الذات البشرية يعني أن القرآن دعا الإنسان للتعرف على طاقاته الهائلة، المتجددة وغير المحدودة، التي تسع العالم الأكبر، ومن ثم ينطلق بكل ما يمتلك لتحقيق خلافته في هذا العالم، ويتعرف إلى مكنوناته، وينظر في طواياه وخبائاه وما ينطوي عليه، حتى يكون قادراً على تعميره والقدرة على تسخيريه.

لقد كانت معجزة القرآن، وما تزال إلى يوم الدين، محرضاً علمياً وثقافياً ومعرفياً، ولئن عجز الناس عن الإتيان بمثله فإنهم لم يعجزوا عن تحقيق مدلولاته وإدراك مقاصده، وتجسيد قيمه، من خلال عزمات البشر، فهو معجزة استنفرت العقل البشري، لا للإتيان بمثلها وإنما للارتقاء بها وتحقيق دلالاتها في النفس والمجتمع والكون.

لقد كانت محاولة محاكاة هذه المعجزة، والتحرك من خلال
نضحها وعطائها، والقدرة على تجسيدها، وتوليد مقاصدها،
واستنباط عطائها في كل عصر، سبيل حياة الأمة المسلمة، وامتدادها،
وصمودها، ومناعتها، وأكثر من ذلك كانت السبيل لمعاودة نهوضها
من كبواتها، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَمِيعَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الزخرف: ٤٣).

لقد جعل القرآن التفكير مفتاح الاستدلال والعلم، وتشكيل
القناعة، وإدراك حقائق الدين وروحيه؛ والاجتهاد عبادة مأجورة، أصاب
الإنسان أم أخطأ.. جعل التفكير فريضة قرآنية، ورفض التعليم بالتلقين،
والاعتقاد بالتقليد، واعتبر إيمان المقلد لا يجوز ولا يعفي صاحبه من
المسؤولية، وجعل خير الناس من تعلم القرآن وعلمه، قال ﷺ: «خَيْرُكُمْ
مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (أخرجه البخاري)، فتعلم القرآن وتعليمه
هو وضع الإنسان على الجادة للتحرك في تحقيق المكتسبات العلمية
أو المعرفية.. والتعليم والتعلم تفكر وتدريب على التفكير، وهو غير
الحفظ والاستظهار والتلقين، الذي يشيع في الواقع الإسلامي.
وقد تكون الإشكالية اليوم في: أن التعامل مع القرآن لم يتحقق
بالمقاصد المطلوبة ويحقق العبرة والحذر، حيث بدأت علل التدين من

الأمم السابقة، التي أصيبت بالتعامل مع كتابها، تتسرب إلى الأمة الإسلامية، أولئك الذين قال الله عنهم: ﴿وَمِنْهُمْ أَقْيُونٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٨) أي إلا تلاوة وترتيلاً، قال ابن تيمية رحمه الله، عن ابن عباس وقتاده، في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أَقْيُونٌ﴾ أي غير عارفين بمعاني الكتاب، يعلمونها حفظاً وقراءة بلا فهم، لا يدرون ما فيها؛ ﴿وَلَا أَمَانِي﴾ أي تلاوة، لا يعلمون فقه الكتاب، وإنما يقتصرون على ما يتلى عليهم.. فكيف والحالة الذهنية هذه يمكن أن يحرك القرآن سواكن القلوب ورواكد العقول؟

ولولا قابلية الإصابة واحتمالاتها الكبيرة لما حذر الله منها، ذلك أن كثيراً من المسلمين اليوم يعتبرون مجرد حفظ القرآن وتحفيظه مدعاة للخيرية الواردة في الحديث: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».. وعلى ما في الحفظ والتحفيظ من الخير والعطاء والثواب وبناء العقل واستقامة اللسان، لكن كمال الأمر لا يتحقق إلا بالتدبر والتفكير والتفكير، واسترداد الفاعلية، وتأهيل الإنسان قرآنياً لبناء الحضارة الراشدة. والحياة السعيدة الطيبة، والاهتداء للتي هي أقوم، فالإنسان ليس ذاكرة فقط، ليس شريط تسجيل (أو كاسيت)، ولذلك قال بعض السلف: لقد نزل القرآن ليُعمل به، فجعل بعض الناس من حفظه وتلاوته (فقط) عملاً. ولا بد من الاعتراف، مع شديد الأسى، أن

الكثير من علل التدين تسربت إلى المسلمين عملياً، على مستوى الذات، وما ذلك إلا لتوفر القابليات وغياب الحذر المطلوب.

ولقد ساعد على ذلك الحال الخلل في مناهج وطرائق التربية وآليات التلقي والتعامل مع القرآن، الأمر الذي أدى للوصول إلى الحالة التي عبر عنها الرسول ﷺ «بذهاب العلم» حتى مع وجود الشهادات والإجازات والحفاظ.

ولعل فيما يذكره ابن كثير، رحمه الله، عند تفسير الآية الثالثة والستين في سورة المائدة في الجدل الذي وقع بين الرسول ﷺ وصاحبه زياد بن لبيد، مؤشراً دقيقاً على بعض ما صرنا إليه مع كتاب الله.

فقد أخرج الإمام أحمد، رحمه الله تعالى، عن زياد بن لبيد قال: «ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَقَالَ: وَذَلِكَ عِنْدَ أَوَّانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: ثَكَلْتُكَ أُمَّكَ يَا ابْنَ أُمَّ لَبِيدٍ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقِهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوْلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ لَا يَنْتَفِعُونَ مِمَّا فِيهِمَا بِشَيْءٍ؟» (الحديث أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه ابن ماجه في سننه عن زياد بن لبيد في كتاب الفتن، وأخرجه الترمذي في سننه في باب ما جاء في ذهاب العلم، وقال: حديث حسن غريب).

وحيث إن المعجزة القرآنية تتمتع بهذه الخصائص والصفات في التغيير للواقع والهداية التي هي أقوم، لذلك فإن استهداف القرآن وعزله عن حياة الأمة مستمر بوسائل شتى، منذ الجاهلية الأولى: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ (فصلت: ٢٦) إلى ما انتهت إليه الواجهة التعليمية في معظم بلاد المسلمين، ومنذ زمن، التي تبدو وكأنها تركز على إفساد السليقة، واستبدال اللغة، وتغيير الحرف العربي في لغات الشعوب المسلمة، لإقامة الحواجز بين الأمة وتراثها المتأني من عطاء القرآن، وإسقاط الاهتمام بعلوم اللغة العربية، مفتاح فهم القرآن، ومن ثم إفساد التذوق، وإفساد التلقي، والقضاء على أمل التغيير والارتقاء.

وقد تكون الإشكالية أن بعض معاول الهدم تتأتى من الذات قبل (الآخر)؛ لأنها لو جاءت واضحة من (الآخر) لحقت خيراً ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾ (النور: ١١)، لأنها تستنفر الأمة، وتصنع التحدي، وتمكن من الاستجابة والمواجهة.

لقد كان من الطبيعي، والطبيعي جداً، أن يتمركز الاستهداف حول القرآن للوصول بالمسلمين إلى حالة الهجر، التي حذر الله منها على لسان الرسول ﷺ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣٠)، وهذا الهجر من الجرائم الفكرية الكبيرة التي

أشار إليها القرآن في الآية التالية لهذه الآية مباشرة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (الفرقان: ٣١).

والهجر المقصود هنا ليس في عدم التلاوة والحفظ فقط، فهذا قد يكون قائماً ومستمراً، وإنما الهجر في غياب التدبر، وإقصاء القرآن عن حياة الأمة، والتوهين، وصناعة القابليات لمُرور ثقافة وحضارة ومعايير (الأخر).

ولعل مدلول قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) يعني من بعض الوجوه، أن القرآن باق ومستمر ومحفوظ بحفظ الله، وأن الجهود لا بد أن تتركز حول التدبر والتفكير، وما يمنحه ذلك من عطاءات ثقافية وحضارية وعلمية ومعرفية تجعل من الأمة شاهدة على الناس بمجدارة علم وثقافة وخلق، وليست بادعاء.

نعساود القول: بأن الله حذرنا من علل التدين، ومنها ممارسة كهانات رجال الدين، الذين حاولوا احتكار المعرفة والنطق باسم الله، واحتكار حمل الكتاب المقدس، واستغلوا الدين لتحقيق التسلط على الناس، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مَّيْتَقَهُم لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَٰةَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَتَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ (المائدة: ١٣)، وقال: ﴿... وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا
سَكَّعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعَهُمْ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكُمْ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ
مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ
فَأَحْذَرُوا... ﴿ (النساء: ٤١)، وقال: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ
وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ... ﴿ (التوبة: ٣٤).

والمستأمل في أبعاد وآفاق هذه الآيات وواقع المسلمين ينتابه ذعر
ونخوف شديد، على الحال التي نحن عليها، وخاصة عندما يرى علل
التدين تتقدم صوب الأمة المسلمة، بل صوب بعض نخبها.
إن ظهور الكهانات في الداخل الإسلامي، بمعظم مواصفاتها،
لا شك أنه أصبح يشكل علة خطيرة من علل التدين، ذلك أن
رجال الدين، أو حملة الكتاب المقدس، الناطقين باسم الله في تاريخ
التدين، كانوا أخطر على الأمة والحضارة والدين من أعدائه.. صحيح
أنه في الإسلام لا توجد طبقة رجال دين، وإنما يوجد علماء
ومتخصصون في العلوم الإسلامية، وأنهم جميعاً، مهما بلغوا، يجري
عليهم الخطأ والصواب وعدم العصمة، وأن المعجزة القرآنية المجردة
فصلت القيمة عن الذات، وجعلت القيمة هي المعيار للذات، كائنة
من كانت، فالرجال يُعزفون بالحق ولا يُعرف الحق بالرجال، وكل
إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم ﷺ.

لكن ملامح نذر الخطر المخيفة في بعض صور التدين الإسلامي، وليس في قيم الدين، أصبحت لا تخطئها العين، حيث يقترب واقع التدين في بعض جوانبه ومؤسساته عملياً من طبقة رجال الدين والأكاديموس، ويتعد عن ميدان العلم المتخصص؛ ولا نستغرب أن نرى من يعتلي المنابر ويتحدث باسم الدين من قد لا يكون له نصيب من كسب العلوم الإسلامية اللهم إلا الانتساب لبعض التنظيمات الإسلامية.. هذا الانتساب جعله يعطي نفسه حق القول في الدين والثقافة الإسلامية والإعجاز العلمي، وقد يكون متخصصاً في شعب معرفية تمثل فروضاً كفائية المجتمع بأشد الحاجة إليها (أ) فهجره لاختصاصه وتحولته إلى غير اختصاصه يترتب عليه خلل، وآثاره خطيرة على جميع الأصعدة، ليس أقلها تفريغ موقعه الذي غادره وإتاحة الفرصة لامتداد (الآخر)، وتعطيل عطاء موضعه الذي انتهى إليه دون أن يفقهه.

فالتحريف الذي أشار إليه تعالى في قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ في أصله حذف لبعض الألفاظ وإبدالها بغيرها ليتغير تبعاً لذلك المعنى والحكم والتكليف.. والنسيان الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ إسقاط لبعض آيات وأحكام الكتاب بشكل متعمد، على الرغم من معرفته والتذكير به.

والخطورة تكمن اليوم في تطور التحريف من صورته الساذجة تلك، التي قد تكون مكشوفة، وهي حذف بعض الألفاظ أو إبدالها ليتغير تبعاً لذلك المعنى والتكليف، بحيث يتاح المجال لممارسة الابتزاز والاستغلال، إلى نوع متقدم، وهو الخروج بالمعنى عما وضع له اللفظ (التأويل)، والتفسير والتأويل الذي يمارسه فقهاء السلطان والاستبداد السياسي أو الظلم الاجتماعي ليوافق المطلوب، ويشكل مسوغاً شرعياً لممارسات غير شرعية؛ فبدل أن نكيف سلوكنا مع القرآن نكيف آيات القرآن ونطوعها ونفسرها على هوانا لتسويغ سلوكنا! والرسول ﷺ يقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» (الأربعين النووية) لا ماجئت تبعاً لهواه.

وليس هذا فقط، وإنما محاولات التبعض والحذف والانتقاص والانتقاء في مناهج التربية والتعليم والإعلام والوعظ والإرشاد، الأمر الذي ينتهي بنا إلى أقصى مراحل الخزي، التي حذر الله منها بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَسْفَلَ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٨٥)، وقال تعالى: ﴿وَاحْذَرَهُمْ أُنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة: ٤٩).

أفلا يستدعي الأمر أن يُنظر في أسباب الخزي الذي نعاني منه؟ ألا يستدعي الأمر أن ندرك أن آية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ

وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿التوبة: ٣٤﴾،
جاءت بعد قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ
الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ...﴾ فنأخذ حذرنا،
ونعتبر بغيرنا، ونحاصر الكهانات التي تتسرب إلينا؟

فالقُرآن شفاء للعلل والإصابات، وتصويب للعقل والفكر،
ومعالجة لفساد الرأي والجنوح، وليس للرقية فقط، والتحول به من
المدائن والأحياء إلى المقابر، والقراءة المبتدعة على الأموات.
وقد تكون المشكلة أن فساد العلماء (رجال الدين) أشد خطورة
على الأمة من فساد الحكام، لذلك قال بعض الحكماء: من فسدت
بطانته... كان كالغاص بالماء.. شر البلاد بلاد لا أمان بها، وشر
الملوك من خافه البريء.. ذلك أن فساد بعض الحكام، الذي قد
يؤدي إلى انفصال السلطان عن القرآن، جعل الأمة تاريخياً منحازة
إلى القرآن، وبذلك ضمان الاستمرار؛ فالأمة أقوى من الدولة،
والعقيدة أبقى من السياسة؛ أما إذا فسد العلماء أو اعتلى منابرهم من
غير المؤهلين، فإلى قيادة مَنْ تنحاز الأمة؟!.

إن فساد العلماء، وإفسادهم بالمال أو بالجسار أو بالسلطان
أو الرئاسات - وقد قال بعض العارفين: آخر ما يخرج من قلوب
الأولياء حسب الرئاسة- يعتبر من أخطر علل التدين على حياة الأمة:

﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ.. ﴾

(التوبة: ٣٤)، إلا أننا مطمئنون إلى أن قيم الدين المتمثلة في معجزته الخالدة تنفي الخبث كما ينفي الكبر خبث الحديد.. فمعجزة الإسلام ليست متجسدة في شخص، أو جماعة، أو هيئة، أو إنسان، أو رجل، مهما كبر، وإنما هي معجزة مجردة ممتدة على الزمان والمكان والإنسان.. ومن التجريد يتأكد الخلود والقدرة على التوليد، ومن التجسيد كان التوقيت والانقضاء.. والخلود يعني تجاوز مرحلة التجسيد بالزمان والمكان والأشخاص، وامتداد المتجرد أو المجرد كقيمة حتى يوم القيامة.

ولعل من المفيد هنا أن نذكر بأن القرآن الكريم في دعوته للإنسان، وإقناعه بالحقائق المطلقة، بالنسبة لرؤيته في الكون والحياة والإنسان، انتهى به إلى الإيمان بالله واجب الوجود عقلاً «وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد» ذلك أن عطاء هذا الإيمان هو الذي يمثل الخلاص والتحرر من كل أنواع التسلط والعبودية.

لقد خاطب القرآن قوى الوعي كلها في الإنسان؛ خاطب العقل وحرضه على النظر والتفكير - كما أسلفنا - ودربه على بعض المعادلات الفكرية.

واستخدم الأدلة البرهانية، وأجاب في خطابه للإنسان عن

الأسئلة الكبرى المورقة له، والذي لا يمتلك العقل أدوات التوصل إليها والإجابة عنها.

استخدم البرهان والاستدلال والمقايسة والمقارنة. وقد لا نكون بحاجة لإيراد الأمثلة، فكلية: ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾، و﴿أَنْظُرُوا﴾، و﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، و﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، واعتبار إيقاظ الوعي والتفكير سبيل الإيمان، أكثر من أن تحصي في القرآن.

كما استخدم القصة لتحقيق العبرة: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١).

واستخدم التاريخ، ليلفت النظر إلى سنن السقوط والنهوض واطرادها.

وملك الإنسان حقائق علمية يقينية، كما ملكه القابليات والأدوات للنظر، وقال له: انطلق في الأرض وانظر: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧).

واستخدم المثل، ونخاطب النفس من الداخل وعرض تقلباتها المتنوعة، وأثار الخواطر وسر أغوارها، وجيش المشاعر، وحرك العاطفة، ونمى الأحاسيس، كما نخاطب الإنسان بالمصير، وتحدى بالعواقب والمآلات.

واستخدم الحوار والمجادلة، وقدم بعض الحقائق العلمية، ووضع الإنسان على الجادة، وأعطاه دليل رحلة البحث العلمي ومفاتيحه، وجعل ذلك تكليفاً ومسؤولية.

كما استشرف له الماضي، لتشكيل ذاكرته وتحقيق التراكم المعرفي المطلوب لتنميته، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى: ١٣)، ﴿ قِيلَ أَيُّكُمْ إِبْرَاهِيمُ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (الحج: ٧٨).

كما قدم رؤية للمستقبل، وأخبر عن المصير وعالم الغيب، وحكى قصة أطوار الحياة، التي تشكل حقائق يعيشها الإنسان ويلمسها ويشاهدها.

وعلى العموم، نستطيع أن نقول: قدم القرآن معادلات للحياة، وغطى جميع مساحاتها، وأجاب عن أسئلة الإنسان، وأحسن بناءه، وناط به صناعة العمران وتحقيق الاستخلاف.. فالله خلق الإنسان، وأحسن خلقه وتقويمه، والإنسان أبداع أشياءه وكشف قوانين المادة التي مكنته من التقدم العلمي.

ولم يكن ما قدمه القرآن رؤية خيالية نظرية، ولا فلسفة توهيمية هائمة، ولا معرفة باردة عاجزة عن الفعل والتحقق في واقع

الناس، وإنما معجزته الحقيقية تمثلت في أن رؤيته وقيمه وفلسفته تجسدت في حياة الناس.

وحسبنا أن نقول: بأنه لا أدل على نجاح استراتيجية القرآن وأساليبه المتميزة في الإقناع من أن الأمة المسلمة تشكلت من خلاله، وتماسكت من خلال القرآن، ونهضت من كبواتها من خلاله، وقدمت حضارة وثقافة بنضح من القرآن.

وأنه على الرغم من التقدم العلمي والمعرفي، مع ذلك لم تسجل إصابة واحدة على معرفة الوحي في القرآن والسنة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ (المستقبل) وَلَا مِنْ خَلْفِهِ (الماضي)﴾ (فصلت: ٤٢)، لكن تتراكم الإصابات لعالم المسلمين اليوم بسبب هجرهم للقرآن.

وبعد، فالكتاب الذي نقدمه يمكن أن يعتبر محاولة لتقديم بعض الملامح حول أساليب القرآن في الإقناع، ودعوة لاستصحاب هذه الأساليب في تعاملنا مع الثقافات الوافدة في هذه الحقبة الخطيرة من حياة البشرية، حقبة حوار الحضارات أو صراع الحضارات والسعي لفرض أنماط ثقافية باسم العولمة والنظام العالمي الجديد، ولا أدل على اعتماد القرآن سبيل الإقناع من أن شعاره الكبير كان وما يزال: ﴿لَا إِكْرَاهَ﴾، والتذكير بأهمية الجاهدة بالقرآن، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾

جِهَادًا كَبِيرًا ﴿ (الفرقان: ٥٢) فالجهاد الكبير هو جهاد الأفكار، وعلى الأخص في هذا العصر، الذي يعتبر الإعلام والحوار وصراع الأفكار والحضارات والمدافعة الثقافية من أمضى أسلحته وأخطرها.

ولعل الكتاب يمثل أيضاً دعوة للتبصر بمنهج القرآن والتعامل معه بأدوات صحيحة، والتحقق بوسائله، أو استراتيجيته في الإقناع وتحصيل الإيمان، ومعرفة كيفية الاستمساك به، لتجاوز العجز وال فقر الثقافي وهدم التوهم، الذي يأتي عادة ثمرة للعجز والإحباط، بأن التشدد والإكراه والعنف والغلو هو الذي يقنع الإنسان ويحقق نقله من الكفر إلى الإيمان.

ذلك أن من المؤسف التوهم بأن التشدد والعنف يمكن أن يحقق المطلوب ويقنع الناس بالإسلام، على الرغم مما جاء به القرآن من استراتيجية للإقناع وآليه لبناء ثقافة وقناعة الإنسان، وتجسد ذلك في تاريخنا الثقافي في جملته، الذي يعتبر تاريخ عطاء القرآن، وأن القيمة الأساسية في ديننا التي مكنته ومكنت له: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، حيث كانت قيادة الإنسان من خلال قناعاته، ومنع ذلك فإن بعضنا ما يزال يعتقد أن السيف أصدق إنباء من الكتب، ويفوته قول الشاعر:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المكان الثاني

فيدخل الكثير من الممارك الغلط باسم الدين، ويهدر الكثير من الطاقة باسم الجهاد، ويخطئ اختيار الوسيلة، ويسئ للأمر، ويفتقد الحكمة في النظر.

وقد نقول هنا: بأن الكلام عن أساليب القرآن، ودوره في تحقيق الإقناع، هي من المسلمات، والأدلة على ذلك أكثر من أن يحاط بها على مستوى الفكر والفعل بحيث لم تعد تدع استزادة لمستزيد، ولا أدل على ذلك مما أنتجه القرآن من إنسان وحضارة وثقافة، وإن شئت فقل: أمة، بكل مقوماتها، لكن المشكلة الأساس اليوم، التي تستدعي الكثير من النظر والبحث والمعالجة، تتمثل في السؤال الكبير: إذا كان القرآن الكريم بهذا العطاء الخالد، والقدرة الخارقة على الإقناع (المعجزة العقلية الثقافية الخالدة) فلماذا يعجز المسلمون أن يكونوا في مستوى قرآتهم، على مختلف الأصعدة؟ ولماذا يبقى واقعهم غير مقنع، إن لم يكن منفراً، بل وغوغائياً في بعض جوانبه؟

وكنتم يترجى الإنسان ويتمنى أن الدراسات والجهود التي اجتمعت على بيان عظمة القرآن يتحول بعضها ليتبين أين الخلل، وكيف نعيد التواصل مع القرآن، ونفتش عن أنفسنا، وعلاج إصاباتنا في القرآن؟ ونحن نعلم جميعاً أن القرآن الكريم خالد قادر على العطاء إلى يوم الدين.

ولعل من أبرز خصائص القرآن أنه أطلق العقل من عقاله، وأعاد

إليه وظيفته، وارتقى به إلى آفاق من الكشف والكسب المعرفي، وأكد له أن رحلة البحث والكشف العلمي لن تتوقف ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (فصلت: ٥٣)، إلى يوم القيامة، فالقرآن بطبيعته حَمَلٌ أَوْجِهٌ، كما قال سيدنا علي رضي الله عنه، وهذا يمنح طاقة هائلة وخصبة للنظر والرؤية، ويدفع إلى التعددية والتنوع وإغناء الرحلة العلمية، ويفتح الأبواب كلها للنظر في الآفاق والأنفس؛ وكلُّ يرتقي حسب قدراته العقلية: ﴿فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدْرِهَا﴾ (الرعد: ١٧)؛ ولكلٍ من الثواب والأجر حسب كسبه المعرفي.

هذه الآفاق الفسيحة لا تحدّها حدود زمانية أو مكانية أو بشرية، ويكفي أن نتأمل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩)، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ (لقمان: ٢٧)، لسندرك الأبعاد والمساحات والفضاءات، التي تنتظرنا، والتي يتحرك فيها العقل البشري من خلال عطاء معرفة الوحي، بعيداً عن الانسداد والتقييد والانحباس والمحاصرة.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المقدمة

يتعرض العالم الإسلامي إلى عملية استلاب ثقافي وغزو فكري من خلال وسائل إعلامية جعلت من العالم كوخاً صغيراً، في ظل مصطلح «العولمة» المرتكزة إلى انتشار المعلومات، وتذويب الحدود الجغرافية، وتحقيق أكبر قدر من التشابه بين هويات الشعوب وخصوصياتها.

فمعظم الرسائل الإعلامية المستقبلية في عالمنا الإسلامي من وسائل إعلام أجنبية تهدف إلى أن تفقد الثقة بقيم الإسلام ومناهجه في الحياة، ونستبدل بمعايرنا ومقاييسنا معايير ومقاييس ترسم طريقاً غير الذي رسمه لنا الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ... وأن نفقد الثقة في أي تحرك إسلامي، وذلك تحت شعار التطور والتقدم؛ فضلاً عن إثارة الفتن في صفوف الأمة، إقليمية أو طائفية أو شعوبية، وتفجير معارك جانبية بين أفراد الأمة، وتحريض الدول الضعيفة، بعضها ضد بعض... وعزل الأمة الإسلامية عن الأمم جميعها، وتشويه سمعة العمل الإسلامي الداعي لبعث الإسلام من جديد، لينهض بالأمة ويأخذ بيدها... والإبقاء على مجتمعاتنا مجتمعات استهلاكية، تستورد من الغرب كل شيء.

هذه هي بعض أهداف الإعلام، الذي نعمل على استقباله، وهي أهداف اتفق حولها كثير من الباحثين في هذا المجال... غير أن الأمر الجدير بالملاحظة هو أن هذا الخطاب الإعلامي يحظى بدرجة عالية من الإقناع وسط جمهور عريض من المتلقين وصلت حد القناعة، التي قادت إلى هروب المتلقي من وسائل إعلامه المحلية إلى وسائل إعلام أجنبية، لا تراعي قيماً أو سلوكاً فاضلاً، مما أسفر عن انحطاط أخلاقي ونمو وتزايد أنماط سلوكية جديدة غير تلك التي جاء بها الإسلام.

وقد استطاع الإعلام الغربي أن يصل إلى إقناع المتلقي في العالم العربي والإسلامي والاستحواذ عليه، من خلال برامج، التي يثها وفق استراتيجيات ثلاث، هي:

١- الاستراتيجية الدينامية النفسية، التي يخاطب من خلالها الجمهور، نفسياً ووجدانياً وعاطفياً، سواء كان ذلك عبر اللغة أو الصورة.

٢- الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية، التي تخاطب المتلقي وفقاً لعاداته وتقاليده وثقافته.

٣- استراتيجية إنشاء المعاني، التي تهدف إلى إشاعة وغرس معان جديدة في المجتمع، قد لا تتجانس مع ما هو سائد فيه.

ومما تجدر ملاحظته أن هذه الاستراتيجيات قد استخدمتها
الخطاب القرآني، غير أن تخلف الأمة الإسلامية عن الركب جعلها
بعيدة عن مصادرها العلمية الأصيلة.

فغاية هذا الكتاب هو الوقوف على الأساليب الإقناعية في القرآن
الكريم، وكيفية الاستفادة منها في العمل الإعلامي، بهدف نشر
الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم كافة، بدلاً من أن نكون مستقبلين
فقط لبرامج لا تتجانس وعقيدتنا وقيمنا.. حيث الدعوة إلى الله تعالى
تعتبر من أوجب واجبات المسلم.. ووسائل نشر الدعوة اليوم متاحة
أكثر من أي وقت مضى، ولكن ينقصنا الخطاب الإقناعي، الذي
يجعل المتلقي في الداخل والخارج يقبل على ما نبث وننشر.

وقد جاء الكتاب في أربعة فصول، خصصنا الأول منها للحديث
عن استراتيجيات الإقناع؛ فيما جاء الفصل الثاني متناولاً استمالات
وأساليب الرسالة الإقناعية؛ أما الفصل الثالث فكان عن القرآن الكريم
واستراتيجيات الإقناع؛ وجاء الفصل الرابع متناولاً استراتيجيات
الإقناع ونشر الدعوة في العصر الحديث، بالإضافة إلى الخاتمة.

أسأل الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وبالله التوفيق.

الفصل الأول

استراتيجيات الإقناع

تعدد النظريات التي حاولت تفسير الظاهرة الإعلامية وتأثيراتها على الجمهور.. واعتمدت في بداياتها المدخل النفسي لتفسير مكونات الظاهرة، ثم المدخل الاجتماعي، من واقع البحوث الميدانية، التي حاولت الوقوف على العملية الإعلامية وتأثير الرسالة الإعلامية على الجمهور المستهدف.. وحينما تيقن العلماء فشل كل من المدخل النفسي منفرداً وكذلك المدخل الاجتماعي منفرداً في تحليل الظاهرة تم دمج المدخلين بهدف تحديد وظائف وتأثيرات وسائل الإعلام في المجتمع، انطلاقاً من أن الوظائف أدوار عامة تؤديها وسائل الإعلام، وأن التأثيرات عبارة عن نتائج تحديد هذه الأدوار.

وتأثير الرسالة الإعلامية يبدأ بإقناع الجمهور بمشاهدتها أو الاستماع إليها أو قراءتها.. ولفكرة الإقناع الأساسية جذور قديمة، فقبل عصر الاتصالات الجماهيرية بوقت طويل، كان مصطلح «علم البيان» أو «الفصاحة» يستخدم للإشارة إلى فن استخدام اللغة

للتأثير على أحكام الآخرين وسلوكهم؛ ومن خلال الزمن الذي كان

فيه الصوت البشري هو الوسيلة الوحيدة للاتصال، التي يمكن

استخدامها لإقناع الناس بتغيير المعتقدات والأعمال، كانت تلك

مهارة هامة بالفعل.. ومع ازدياد تطور المجتمعات، ازدهر فن الإقناع

الشفهي بالكلام الفصيح.

وكان الإقناع كفن يُمارس منذ قرون، غير أن «علم الإقناع»،

الذي انبثق فيما بعد هو نتاج القرن العشرين، ومقارنة بالعلوم

الأخرى فهو حديث، ولذلك يرى بعض المهتمين بالأمر أن الحكم

على هذا العلم يجب أن ينطلق من الإجابة عن السؤال القائل: هل

أوجد العلم إجراءات مقنعة تستطيع السيطرة على السلوك

الإنساني؟ وأياً ما كانت أساليب الإقناع، فناً أو علماً، فإنها سوف

تزداد فاعليتها في السيطرة على السلوك^(١).

وعملية الإقناع تبدأ من الفكرة وطريقة التعبير عنها وأسلوب

نقلها.. والربط بين الفكرة والتعبير عنها. وكيفية نقلها، من الأمور

(١) ملفين ديفلر وساندرا بول، نظريات الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الطبعة

الثانية (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٨م) ص٣٧٨.

الشائعة بين دارسي الإعلام وخبرائه، وبالرجوع لآرائهم يمكن الخروج بعدة قواعد أساسية تعطي وجهة نظر سائدة^(١):

القاعدة الأولى: أن الكلمات عبارة عن رموز تستعمل للتعبير عن الأشياء أو الأفكار أو المفاهيم أو التجارب أو الأحاسيس.

القاعدة الثانية: أن الكلمة الواحدة من الممكن أن تحمل معاني كثيرة ويكون لها أكثر من استعمال.

القاعدة الثالثة: عند استخدام الرموز الكلامية أو الكلمات الرمزية كدليل لاتصالاتنا العامة أو الخاصة، فإننا غالباً ما نعتمد على الشمولية دون التفاصيل.

القاعدة الرابعة: من خلال دورة معاني الكلمات بين الناس وتبادلهم لها، يتحدد المعنى الذي يتصل بالعلاقة بين الرموز أو الموضوعات أو المفاهيم التي تعود عليها.

القاعدة الخامسة: من الكلمات ما يمكن أن تكون لها معانٍ ظاهرة وأخرى باطنة.

القاعدة السادسة: تميل الحقيقة إلى الثبات بينما تتجه اللغة للحركة الميكانيكية.

(١) سيد محمد ساداتي الشنقيطي، الأصول التطبيقية للإعلام الإسلامي (الرياض: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م) ص ٤٣-٤٤.

فهذه هي القواعد التي تربط الفكرة بالتعبير عنها وأسلوب نقلها. والفكرة من حيث الاصطلاح الإعلامي هي: الشكل المحدد للتعبير عن مجموعة من المواقف المرتبطة بشخصيات حقيقية أو اختيارية خلال ظروف اتصالية محددة^(١)، ومن ثم فإن الإقناع في السياق الحالي يشير بصورة أساسية إلى استخدام وسائل الإعلام الجماهيرية لتقديم رسائل مخططة عمداً لاستتباط سلوكيات معينة من جانب جماهير القراء أو المستمعين أو المشاهدين، ولذلك فإن التعديل الواقعي للسلوك هو الهدف الذي ينبغي تحقيقه باعتباره المتغير التابع في النظرية التي تستهدف تفسيره^(٢).

وقد عرض الباحثون ثلاث استراتيجيات نظرية للإقناع، يخاطب كل منها نفس المتغير التابع، وهو السلوك العلني.. وتشمل هذه الاستراتيجيات:-

١- الاستراتيجية الدينامية النفسية.

٢- الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية.

٣- استراتيجية إنشاء المعاني.

(١) سيد محمد ساداتي الشنقيطي، المرجع السابق، ص ٤٤.

(٢) ملفين ديلفر، نظريات الإعلام، مرجع سابق، ص ٣٨٠.

وعلى الرغم من الصعوبة الماثلة للعيان في تحديد أثر الإعلام في السلوك، إلا أن المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام تقوم بدور محفز في هذا المجال.. ويمكن القول على وجه العموم: بأن المعلومات التي يستقبلها الإنسان من وسائل الإعلام تصب في المخزون المعرفي، الذي يستقبل أيضاً معلومات إضافية من مصادر أخرى وعبر قنوات أخرى. وتتفاعل تلك المعلومات مع المخزون المعرفي المتراكم فتؤدي إلى تكوين صورة معرفية عقلية معدلة يتصرف الإنسان في ضوءها وبموجبها.

لذلك فإن التأثير بالرسائل الإعلامية يعتبر عاملاً من بين مجموعة عوامل أو متغيرات تسهم جميعاً في إعادة صياغة الصورة العقلية، وهذه بدورها تدفع الإنسان لاتخاذ قرار معين والإتيان بسلوك ينسجم مع ذلك القرار^(١)، وهذا قمة الإقناع، الذي يعرف بأنه استخدام الرموز واستغلالها بهدف دفع المتلقين للقيام بأعمال محددة تخدم المتلقي نفسه.

(١) عصام سليمان موسى، المدخل في الاتصال الجماهيري، ط١ (الأردن: مكتبة الكفتاني، ١٩٨٦م) ص ١١٨.

الاستراتيجية الدينامية النفسية

تقوم الافتراضات الأساسية في علم النفس على المؤثر والاستجابة عند الفرد، وذلك على النحو التالي:-

١- إن المؤثرات تُستقبل وتُكتشف بواسطة الأحاسيس من المحيط الخارجي.

٢- إن خصائص الكائنات العضوية تشكل نوع الاستجابة التي ستحدث، وأخيراً سوف يتيح ذلك ظهور بعض أشكال السلوك. وبما أننا لا نهتم بال مخلوق البشري وحده، فإنه يمكن تحديد العوامل المؤثرة في الآتي^(١):-

أ- مجموعة من خصائص بيولوجية بشرية أو صفات موروثية.
ب- مجموعة أخرى من عوامل قد تكون قائمة أساساً على البيولوجيا جزئياً والتعليم جزئياً، مثل الحالات والظروف الانفعالية.
ج- مجموعة من عوامل مكتسبة أو جرى تعلمها لتنظيم التركيب الإدراكي للفرد.

ومن هنا ندرك أن المخلوق البشري تركيب معقد من مكونات بيولوجية وعاطفية وإدراكية، ومن بين هذه الأنواع الثلاثة لا بد أن

(١) ملفين ديفلر، نظريات الإعلام، مرجع سابق، ص ٣٧٩.

تركز الاستراتيجية الدينامية النفسية أما على عوامل عاطفية أو عوامل إدراكية، إذ من المستحيل تعديل عامل بيولوجي موروث كالطول أوالعنصر أو الجنس.

فمن الممكن استخدام وسائل الاتصال الجماهيري لإثارة حالة انفعالية كالغضب أو الخوف، والتي يمكن أن تكون مهمة عندئذ في تشكيل الاستجابة.

وتحاول هذه الاستراتيجية ربط الإثارة الانفعالية بأشكال معينة من السلوك؛ وفي حين أن العواطف تمثل أساساً واضحاً لهذه الاستراتيجية إلا أن استخدامها يتم في عدد محدود من المواقف خاصة تلك التي علي صلة بالجوانب الإنسانية. أما العوامل الإدراكية فهي مؤثرات على السلوك الإنساني، ومن ثم فإنه إذا كان من الممكن تغيير العوامل الإدراكية فسوف يتسنى عندئذ تغيير السلوك بكل تأكيد^(١).

ومن هنا يمكن القول: إن جوهر الاستراتيجية الدينامية النفسية هو استخدام رسالة إعلامية فعالة لها القدرة على تغيير الوظائف النفسية للأفراد حتى يستجيبوا لهدف القائم بالاتصال، أي أن مفتاح الإقناع يكمن في تعلم جديد من خلال معلومات يقدمها القائم

(١) ملفين ديفلر، المرجع السابق، ص ٣٨٤.

بالاتصال لكي يتغيّر البناء النفسي الداخلي للفرد المستهدف (الاحتياجات - المخاوف - التصرفات) مما يؤدي إلى السلوك العلني المرغوب فيه.

وتستخدم وسائل الإعلام العالمية هذه الاستراتيجية بشكل فاعل من خلال أساليب التضليل الإعلامي المرتكز إلى خمس أساطير^(١) هي:-

١- أسطورة الفردية والاختيار الشخصي.

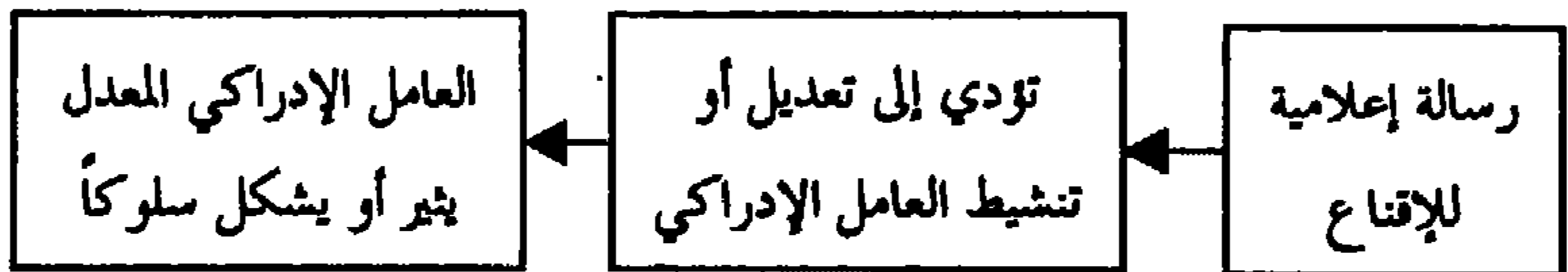
٢- أسطورة الحياد.

٣- أسطورة الطبيعة الإنسانية الثابتة.

٤- أسطورة غياب الصراع الاجتماعي.

٥- أسطورة التعددية الإعلامية.

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال التغطية الإخبارية للأحداث والبرامج ذات الطابع الدرامي، إضافة للإعلانات.. والرسم التالي يوضح هذه الاستراتيجية.



(١) هيربرت شلير، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٠٦، ١٩٨٦، ص ١٣-٣٠.

الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية

بينما تقوم الافتراضات الأساسية لعلم النفس على أن السلوك يمكن السيطرة عليه من قوى داخل الفرد، فإن العلوم الاجتماعية الأخرى تفترض أن قدرًا كبيرًا من السلوك الإنساني تشكله قوى من خارج الفرد^(١).

ويؤكد علم دراسة المجتمعات البشرية التأثير القوي للثقافة على السلوك، بينما يهتم علم السياسة بدراسة هياكل الحكم وممارسة السلطة، أما علم الاجتماع فإنه يدرس تأثير النظام الاجتماعي على سلوك الجماعة.. وتقدم كل هذه العلوم أساساً للتنبؤ بطبيعة العمل البشري.

وهكذا لا يوجد شك كبير في أن كلاً من العوامل الاجتماعية والثقافية تشكل خطوطاً توجيهية للسلوك البشري، ولهذا السبب فإن مثل هذه العوامل الخارجية يمكن أن تهيء أساساً للإقناع، مع افتراض أنه يمكن للفرد تحديدها أو التحكم فيها^(٢).

(١) ملفين ديلفر، مرجع سابق، ص ٣٨٦.

(٢) حسن عماد مكايي وليلي حسين، نظريات الإعلام المعاصرة، الطبعة الأولى (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨م) ص ٢٠٤.

إن ما تتطلبه استراتيجية ثقافية اجتماعية فعالة هو أن تحدد رسائل الإقناع للفرد قواعد السلوك الاجتماعي، أو المتطلبات الثقافية للعمل الذي يحكم الأنشطة، التي يحاول رجل الإعلام أن يحدثها، وإذا كانت التحديات موجودة فعلاً تصبح المهمة هي إعادة تحديد هذه المتطلبات.

وتستخدم الدول الأجنبية هذه الاستراتيجية لبث ثقافتها وتقاليدها في البلدان الأخرى، وهذا يعني أن الرسالة الإعلامية تعمل على تعميم ثقافة تلك الدولة وقيمها، وتقيم بالتالي لغة مشتركة بين البلدين، تسهل للطرف الأقوى فرض سيطرته على الطرف الأضعف.. ويبدو أن العالم الإسلامي اليوم يشكل الطرف الأضعف، حيث تتم السيطرة الثقافية عليه عبر الآتي^(١):

- نشر قيم النظام الرأسمالي في الدول المسيطرة عبر البرامج المنوعة، وصولاً إلى الأفلام والتحقيقات، فضلاً عن المباريات والتحفيز المباشر لهذا النظام في الأخبار والتعليقات.

- تصدير فلسفات عمل عبر الشركات الكبرى، وهي الوحدات التنظيمية الأساسية في الاقتصاد الرأسمالي العالمي الحديث، هذا

(١) فارس أشنتي، الإعلام العالمي، مؤسساته، طريقة عمله وقضاياها، الطبعة الأولى (بيروت: دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م) ص ١٠٩.

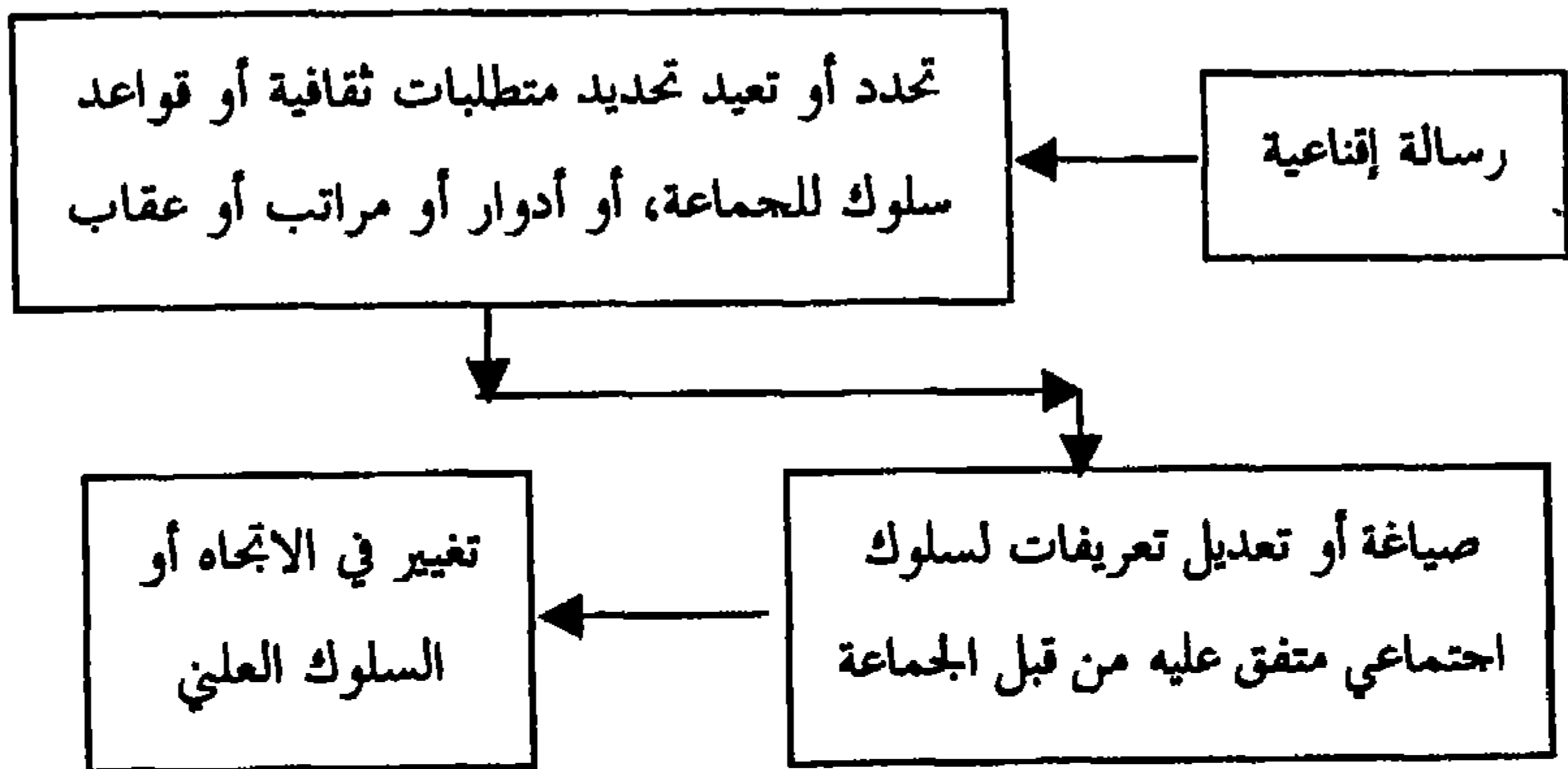
التصدير تقوم به وسائل الإعلام الغربية، ونعمل نحن على استقباله في الديار الإسلامية.

- تعزيز الاتجاه المهني في قيم العمل وسلوكياته، الأمر الذي يؤدي إلى فرض قيود تقاوم التغيير في النظام العام.

- نشر عادات وتقاليد المجتمعات الصناعية المتقدمة.

ويساعد على تدعيم هذه السيطرة وتثبيتها، التدفق الحر للمعلومات، وضخامة الإنتاج للشركات الإعلامية العالمية الكبرى.

وتتخذ الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية الشكل الآتي:



استراتيجية إنشاء المعاني

تستخدم وسائل الإعلام الجماهيرية في إنشاء ودعم الصور الذهنية من خلال مصادر غير محددة للمعلومات، تعمل على صياغة أو تعديل المعاني التي نخبرها الناس عن كل شيء. ويتضمن نموذج المعاني أساساً المقترحات المتشابكة التالية^(١):

- ١- الذاكرة عند الإنسان تتيح تطوير المعرفة.
- ٢- المعرفة موجودة على شكل مفاهيم، وهي تركيبات لها أسماء أو تصنيفات للمعاني التي يذكرها الأشخاص.
- ٣- معاني المفاهيم يمكن للشخص أن يحصل عليها إما عن طريق الاتصال الحسي المباشر مع النواحي المختلفة للواقع، أو من خلال التفاعل الرمزي مع الجماعات التي تستخدم اللغة.
- ٤- اللغة هي أساساً مجموعة من الرموز (اللفظية وغير اللفظية) تستخدم في تمييز وتسمية وتصنيف المعاني المتفق عليها.
- ٥- العادات أو الاتفاقات، توجد الروابط بين الرمز والمعنى، وبهذا فهي تتيح عملية الاتصال بين هؤلاء الذين يلتزمون بالقواعد.

(١) ملفين ديلافر، مرجع سابق، ص ٣٥٩.

٦- رموز اللغة المتفق عليها، التي يستخدمها شعب معين،
تشكل فهمه أو تفسيره أو سلوكه تجاه عالمه المادي والاجتماعي.
وقد أحصى بعض العلماء وظائف اللغة الاجتماعية في
الآتي^(١):

أ- اللغة تجعل للمعارف والأفكار البشرية قيمة اجتماعية، لسبب
يقوم على استخدام المجتمع للغة بقصد الدلالة على أفكاره وتجاربه.
ب- اللغة تحتفظ بالتراث الثقافي والتقاليد الاجتماعية جيلاً
بعد جيل.

ج- اللغة عبارة عن وسيلة لتعلم الفرد، تعينه على تكييف
سلوكه وضبطه حتى يلائم تقاليد المجتمع وسلوكياته.

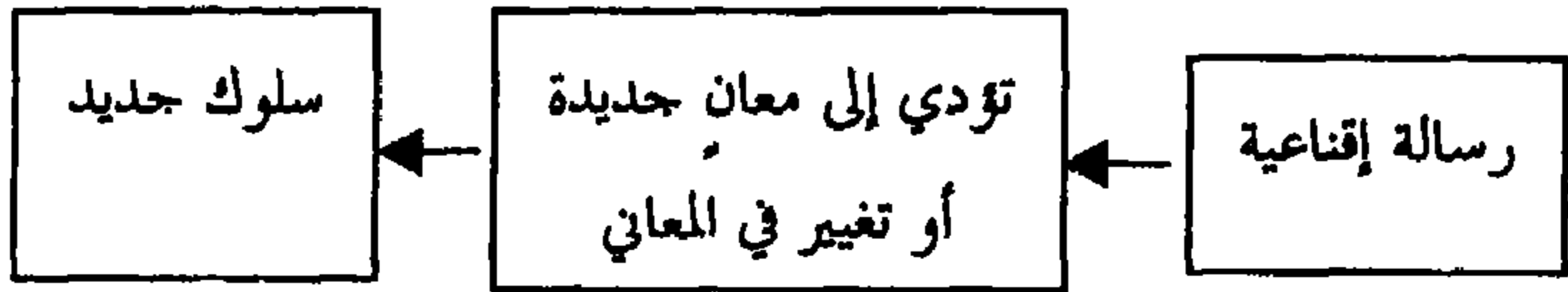
د- اللغة تزود الفرد بأدوات التفكير، وما وصل المجتمع البشري
إلى ما هو عليه الآن إلا من خلال التعاون الفكري المنظم لحياته،
ولا يأتي هذا التعاون الفكري إلا بالتفاهم وتبادل الأفكار بين أفراد
المجتمع، والوسيلة الميسورة لهذا التبادل والتفاهم هي اللغة.

(١) عبد العزيز شرف، علم الإعلام اللغوي (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر،
٢٠٠٠م) ص ١٢٦.

ووفقاً لاستراتيجية إنشاء المعاني فإن وسائل الإعلام تكون الصور الذهنية لرؤوسنا، وتنمي معتقداتنا عن العالم الحقيقي، وتؤثر في سلوكنا، كما أنها تنشئ وتغير وتثبت المعاني ككلمات في لغتنا، وتؤثر هذه التعديلات للمعاني في استجابتنا للموضوعات المختلفة.

وإذا افترضنا أن وسائل الإعلام يمكن أن تعدل المعاني وتؤثر على السلوك بدون قصد، فإن هناك أساساً كافية للاعتماد على استراتيجية بناء المعاني بغرض تغيير السلوك عن قصد، فالمعلومات التي تنقل إلى الجماهير يجب أن تكون فاعلة^(١).

والشكل التالي يوضح استراتيجية إنشاء المعاني:-



وعموماً يمكن تلخيص هذه الاستراتيجيات في الآتي:-
الاستراتيجية النفسية تهدف إلى تعديل أو تنشيط العامل الإدراكي للفرد؛ بينما تهدف الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية إلى

(١) حسن عماد مكاوي وليلي حسين، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

صياغة أو تعديل التعريفات لسلوك اجتماعي متفق عليه من قبل الجماعة، أو تعيد تحديد متطلبات ثقافية أو قواعد سلوك للجماعة من خلال أدوار محددة أو مراتب أو عقوبات؛ فيما تهدف استراتيجية إنشاء المعاني إلى خلق معانٍ جديدة، أو تغيير معانٍ راسخة داخل أي مجتمع من المجتمعات.

وعموماً يمكن القول: إن الإقناع في أدبيات الاتصال يرتبط ببناء الرسالة وأسلوب تقديمها.. وعلى الرغم مما يشار إليه دائماً من تأثيرات لعناصر أخرى في عملية الاتصال، إلا أن الرسالة وخصائصها تظل هي المتغير الأساس والحاسم في تحقيق هدف الإقناع في الحصول على استجابات مواتية.. ويُعتبر تخطيط الرسالة الإعلامية وبنائها البداية الناجحة لزيادة التوقعات بنجاح الرسالة العملية الإقناعية^(١).

وفي الفصل القادم نتناول هذه الجوانب.

(١) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط ٢ (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠م) ص ٣٢١.

الفصل الثاني

استمالات وأساليب الإقناع

في الرسالة الاتصالية

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

من أهم الأسس النظرية التي يقوم عليها علم الاتصال المعاصر، هي النظرية الرياضية للمعلومات (Mathematical theory of Information) التي تعتمد على التعارف بين الأفراد والمجتمعات والحكومات.. ومثلما أن الاتصال يعتمد على اللغة، وهو الذي يسمى بالاتصال اللفظي، فهناك اتصال غير لفظي يؤدي هو الآخر دوراً مهماً، سواء كان مصاحباً ومكماً للنمط الأول أو مستقلاً.

ولقد تجلّى ذلك في كثير من الآيات القرآنية، كما في قول الحق تبارك وتعالى مخاطباً نساء النبي ﷺ: ﴿يٰۤاَيُّهَا النِّسَاءُ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ

مِنَ النَّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ
مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ (الأحزاب: ٣٢).

فالخضوع هنا بمعنى إمالة الكلام وإلآنته... وهو تعبير مباشر عن نمط الاتصال غير اللفظي، الذي يستخدم خصائص ما وراء اللغة.. والنهي عن تليين الكلام مرتبط بفعالية وتأثير هذه الرسالة غير اللفظية، حتى ولو تناقضت مع ظاهر الكلام، بما تثير من توقعات وآمال عند الفساق ذوي القلوب المريضة^(١).

Ⓔ فالإتصال معلومات أو أوامر تبث إلى البيئة بهدف التأثير فيها، والسيطرة عليها.. وتقوم العملية الاتصالية على مكونات أساس هي: المرسل أو المصدر، ثم الرسالة، ثم الوسيلة، فالمتلقي، ورجع الصدى أو التأثير، مع مراعاة أن تقسيم هذه العملية إلى مجموعة من العناصر يستهدف الشرح والتبسيط، ولا ينفي مدى التركيب والتعقيد، وعدم إمكانية الفصل بين هذه العناصر في الواقع الحقيقي، مع التأكيد أن عملية الاتصال تتسم بالاستمرارية، وتعتمد على مجموعة من العناصر المتصلة والمتداخلة والمتشابكة مع ظروف نفسية واجتماعية

(١) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، الطبعة الثانية (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣) ص ١٦.

تؤثر في النهاية على انتقال الأفكار والمعلومات بين الأفراد والجماعات.
والذي يهمنا من أركان العملية الاتصالية في هذا الكتاب عنصر
الرسالة وماهي السمات الإقناعية لها.. فالرسالة هي مضمون السلوك
الاتصالي، فالإنسان يرسل ويستقبل كميات ضخمة ومتنوعة من
الرسائل، بعضها يتسم بالخصوصية مثل الحركة والإيماءة والإشارة
والابتسامة والنظر؛ وبعضها الآخر يتسم بالعمومية مثل الندوات
والمحاضرات ورسائل الصحف والمجلات والراديو والتلفزيون
والسينما؛ وبعض الرسائل يتم نقلها بقصد، ورسائل أخرى يتم
التعرض لها بالمصادفة، وكلما كان هناك تفاعل وفهم مشترك بين
المرسل والمتلقي قاد ذلك إلى فعالية الرسالة؛ وكلما استطاع المتلقي
أن يستوفي المرسل لمزيد من الفهم، اكتسبت الرسالة فعالية أكبر^(١).
وهناك عدة أمور يجب أن نأخذها في الاعتبار بالنسبة
للرسالة، منها:-

١- لغة الرسالة: وهي مجموعة الحروف والكلمات التي لا تقبل
التقسيم وتهدف إلى تكوين بناء متكامل، ومجموعة من العناصر

(١) حسن عماد مكاوي، ليلي حسين السيد، مرجع سابق، ص ٤٨-٤٩.

(مفردات اللغة) ومجموعة من الأساليب التي تجمع تلك العناصر في تكوين له معنى.

٢- مضمون الرسالة: وهو مادة الرسالة التي يختارها المصدر لتعبر عن أهدافه، فهو العبارات التي تقال، والمعلومات التي تقدم، والاستنتاجات التي نخرج بها، والأحكام التي نقترحها.

٣- معالجة الرسالة: تشير معالجة الرسالة إلى القرارات التي يتخذها المصدر أو المرسل بالنسبة للطريقة التي سيقدم بها المضمون، فالمصدر قد يختار معلومة معينة ويتجاهل معلومة أخرى، وقد يكرر الدليل الذي يحاول أن يثبت به رأيه، وقد يلخص ما يقوله في البداية أو في النهاية، ويستطيع المصدر أن يذكر كل الحقائق في رسالته، وقد يترك للمتلقى مهمة تكملة الجوانب التي لم يذكرها في الرسالة.. ويتخذ كل فرد القرارات التي تحقق أهدافه بأفضل شكل متاح.

وتتلخص عناصر نجاح الرسالة الإعلامية، كما يرى الدكتور محي الدين عبد الحلیم، في الآتي^(١):-

(١) محي الدين عبد الحلیم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٤م) ص ٣٤-٣٥.

أ- يجب أن يراعى في الرسالة أن تم أكبر عدد ممكن من الجماهير المستقبلية، وأن تشعر هذه الجماهير بحاجتها لموضوع الرسالة، وأن تعالج مشاكلهم، وأن تتناول مختلف قضاياهم.

ب- يجب أن تعد الرسالة بما يتناسب والظروف الخاصة التي تحكم كل وسيلة إعلامية، لأن الرسالة الإذاعية تتطلب شروطاً قد لا تتطلبها الرسالة الموجهة عن طريق التلفزيون، ذلك أن مستقبل الرسالة الإذاعية لا يرى الحدث بعينه كما لا يرى المذيع الذي ينقل له ذلك الحدث، وعلى العكس من ذلك فإن مستقبل الرسالة الإعلامية المنقولة بواسطة التلفزيون يشاهد لقطات من الحدث كما يشاهد المذيع، وكذلك فإن الرسالة المطبوعة تسمح إلى حد ما بالإفاضة في شرح تفاصيل الموضوع الذي تنقله، وكذلك فإن الرسالة الشفوية تختلف عن الرسائل التي سبق ذكرها، وهذا يتطلب من المرسل أن يكون متفهماً لطبيعة كل وسيلة، دارساً لأصول استخدامها في الزمان والمكان المناسبين.

ج- يجب مراعاة المستويات المختلفة للجمهور المستقبل للرسالة الإعلامية، فتوجه الرسالة باللغة التي يفهمها هذا الجمهور ويتجاوب مع معانيها، فالرسالة الموجهة لمستويات تعليمية عليا تختلف عن

الرسالة الموجهة لمستويات شعبية قليلة الحظ من التعليم والثقافة، وكذلك الرسالة الموجهة للجمهور المحلي الداخلي تختلف عن الرسالة الموجهة للجمهور الخارجي العالمي.

د- يجب ألا تأتي الرسالة متناقضة مع عادات المجتمع وتقاليده، ولكن يجب أن تأخذ الرسالة في اعتبارها اهتمامات الجمهور الذي توجه إليه، ذلك أن الفرد لا يعرض نفسه إلا للموضوعات التي يرغب في التعرض إليها فعلاً، وهو ما يسمى بالتعرض الانتقائي، كما أنه لا يدرك هذه الموضوعات إلا بالشكل الذي يود إدراكها به، وهو ما يسمى بالإدراك الانتقائي، وأن معظمنا يتذكر المواد الإعلامية التي تؤيد وجهة نظره ونحاول أن نتجاهل المعلومات المخالفة لآرائنا، وهو ما يسمى بالحفظ أو التذكر الانتقائي.

هـ- يجب أن تتميز الرسالة الإعلامية بالبساطة والوضوح، وأن تستبعد منها العبارات والألفاظ المعقدة والغامضة، لأن الإعلام يعتمد على الكلام الواضح البسيط، أيًا كان نوع الرسالة الإعلامية الموجهة؛ وليست الرسالة الإعلامية الناجحة هي التي تصاغ عباراتها بمهارة أو طلاقة لغوية فائقة ثم تترك عالم الواقع وتحلق في أجواء الخيال.

الاستمالات المستخدمة في الرسالة الإقناعية

يرتبط محتوى الرسالة عادة بالقدرة على الإقناع، فقد كان أفلاطون يعرف البلاغة بأنها «كسب عقول الناس بالكلمات». وكان أرسطو يرى أن البلاغة هي: «القدرة على كشف جميع السبل الممكنة للإقناع في كل حالة بعينها».

ويتحدث العلماء عن ثلاثة أنواع أساسية من الاستمالات التي توجد بالرسالة الإقناعية هي: الاستمالات العاطفية، الاستمالات العقلانية، واستمالات التخويف.. وفيما يلي استعراض لكل منها، مع إيراد بعض النماذج من القرآن الكريم^(١).

١ - الاستمالات العاطفية:

تستهدف الاستمالات العاطفية التأثير على وجدان المتلقي وانفعالاته، وإثارة حاجاته النفسية والاجتماعية، ومخاطبة حواسه

(١) لحصر الاستمالات والأساليب المستخدمة في الرسالة الإقناعية تم الرجوع إلى المراجع الآتية:

- حسن حماد مكاوي وليلى حسين، نظريات الإعلام المعاصر، مرجع سابق، ص ٣٢.
- محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، مرجع سابق، ص ٣٢١-٣٣٤.
- عصام سليمان، المدخل في الاتصال الجماهيري، مرجع سابق، ص ٢١٧.

بما يحقق أهداف القائم بالاتصال.. وتعتمد الاستمالات العاطفية على ما يلي:-

أ- استخدام الشعارات والرموز، وتعتمد في ذلك على خاصية التبسيط لعملية التفكير واختزال مراحلها المختلفة عن طريق إطلاق حكم نهائي في شكل مبسط، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قول الحق عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩)، فالشعارات هي عبارات يطلقها القائم بالاتصال لتلخص هدفه في صيغة واحدة ومؤثرة بشكل يسهل حفظها وترديدها، أما الرموز فتشير إلى تنظيم التجارب الإنسانية في مجموعة من الرموز التي تلغي صناعياً التباين بين الأفراد في عالم الواقع، ويصبح التفاهم ممكناً على أساس هذه الرموز العامة التي حلت محل التجارب الفردية وأصبح لها مدلول عام متفق عليه بين أفراد الجماعة.

ب- استخدام الأساليب اللغوية، مثل التشبيه والاستعارة والكناية أو الاستفهام، الذي يخرج عن كونه استفهاماً حقيقياً إلى معنى آخر مجازي كالتوبيخ والتبكيث، وكل الأساليب البلاغية التي من شأنها تقريب وتجسيد وجهة نظر القائم بالاتصال، ومن أمثلة

ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي
وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (مریم: ٤)،
وقوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ
لَهُمْ عَائِدُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٨)، وقوله تعالى: ﴿ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتَ
لَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الطور: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ
نَتَرْتَهُ بِرَبِّهِ رَبِّهِ الْيَمِينُ ﴾ (الطور: ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَعْلَانُهُمْ بِهِذًا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ ﴾ (الطور: ٣٢).

ج- دلالات الألفاظ، وهي من أساليب تحريف الكلم عن مواضعه اعتماداً على الألفاظ المستخدمة، ويمكن تطبيق ذلك باستخدام كلمة أو صفة أو فعل، تكون محملة بمشاعر معينة قد تكون سلبية تضيف نوعاً من الرفض على الاسم أو الفاعل المصاحب لها مثل استخدام صفات (التخريبية) أو أفعال مثل: ادعى، زعم، اعترف؛ وقد تكون إيجابية مثل: المعتدل، النشط.. ويلاحظ أن بعض هذه الألفاظ في أصلها اللغوي محايدة كلفظ (ادعى) إلا أن معيار الحكم هو ما جرى العرف عليه في استخدام اللفظ، وهو ما يطلق عليه علماء اللغة: (الحقيقة العرفية للفظ).. كذلك يمكن استبدال الكلمة بكلمة أخرى لها دلالة معنوية،

ويقصد بالدلالة المعنوية انتقال الذهن من مفهوم اللفظ إلى ما يلازمه، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِثًّا ذَرًّا مِنْ الْحَكِيثِ وَالْأَنْكَمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ ﴾ (الأنعام: ١٣٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ (القصص: ٦٤)، ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (القصص: ٧٤)، ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾ (التغابن: ٧).

د- صيغ أفعل التفضيل، وذلك لاستخدامها لترجيح فكرة معينة أو مفهوم ما، وفي القرآن الكريم قول الحق عز وجل: ﴿ يَصْبِحِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (يوسف: ٣٩)، وقوله تعالى: ﴿ أَهْمٌ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (الدخان: ٣٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَرَحِمْتُ رَبِّيَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ (البقرة: ١٤٠).

هـ- انتقاء ما يدل على أن الرأي أو الحكم حقيقة، وذلك على الرغم من عدم الاتفاق والإجماع عليه، ومن أمثلة ذلك في

القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ
 وَالصَّالِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (السبقرة: ٦٢)،
 فالنصارى واليهود المذكورون في هذه الآية هم من آمن بموسى
 وعيسى قبل بعثة سيدنا محمد ﷺ، أما بعد البعثة فهم كفرة لا ينطبق
 عليهم هذا الرأي أو الحكم الرباني، ومن ذلك الآية (٤٧) سورة
 المائدة، حيث يقول الحق عز وجل: ﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾،
 وهذا في حكم الزمان قبل أن ينسخ الإنجيل بالقرآن، أما وقد
 استبانت الأمور وتميزت الصفوف بعد نزول القرآن فيجب أن يرجع
 الجميع إلى حكم كتاب الله الذي أنزله على سيدنا محمد ﷺ.

و- الاستشهاد بالمصادر، وهي تستغل حب التشبه بمن هو
 أكثر أو أعلى سلطة أو من يحظى بمصداقية عالية من جانب المتلقي.
 وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ
 لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأنبياء: ٥٨)، ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
 هَذَا فَتَلَّوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ (الأنبياء: ٦٣).

ز- معاني التوكيد، وهي العبارات والألفاظ التي تستخدم لتشديد المعنى.. مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٨٨)، وقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٨٠).

ح- استخدام غريزة القطيع، ويقصد بها، استغلال الضغط الذي يجعلنا نتوافق مع الجماعة المرجعية التي ننتمي إليها، ويطلق عليها العدوى النفسية، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٩٠).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجُّ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا

يَجْتَنِبُهُمْ إِلَى الْبِرِّ فَيَنْتَهُمُ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِغَايَتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ
كَفُورٍ ﴿ لقمان: ٣٢ ﴾.

٢- الاستمالات العقلانية:

وهي تعتمد على مخاطبة عقل المتلقي، وتقدم الحجج والشواهد المنطقية وتفنييد الآراء المضادة بعد مناقشتها وإظهار جوانبها المختلفة.. وتستخدم في ذلك:-

أ- الاستشهاد بالمعلومات والأحداث الواقعية.

ب- تقديم الأرقام والإحصاءات.

ج- بناء النتائج على المقدمات.

د- تفنييد وجهة النظر الأخرى.

وهناك أمثلة عديدة من الآيات القرآنية التي استخدمت هذا النوع من الاستمالات، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ البقرة: ٢٥٨ ﴾؛ وقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي

هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَيْفَ لَيْتُ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْتُ مِائَةَ عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظِرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة: ٢٥٩﴾.

٣- استمالات الخوف:

تشير هذه الاستمالة إلى النتائج غير المرغوبة التي تترتب على عدم اعتناق المتلقي لتوصيات القائم بالاتصال.. وتؤدي إلى جعل المتلقي يستجيب للرسالة في حالتين:

الأولى: شدة الإثارة العاطفية، التي تشكل حافزاً لدى المتلقي للاستجابة لمحتوى الرسالة.

الثانية: توقعات الفرد بإمكان تجنب الأخطار وبالتالي تقليل التوتر العاطفي عند الاستجابة لمحتوى الرسالة.

وتوجد ثلاثة عوامل تؤثر على شدة الإثارة العاطفية في هذا النوع من الاستمالات، هي:-

أ- محتوى الرسالة: إذ يجب أن يكون لمحتوى الرسالة معنى عند المتلقي حتى يستجيب للهدف منها ويحدث التوتر العاطفي، فالناس يميلون إلى تجاهل التهديدات، حتى تظهر علامات واضحة على خطورتها.

ب- مصدر الرسالة: إذا نظر المتلقي إلى القائم بالاتصال باعتباره غير ملم بالمعلومات الكافية فسوف يرفض توقعاته، وبهذا تفشل الرسالة في إثارة ردود فعل عاطفية؛ وإذا شعر المتلقي أن القائم بالاتصال يباليغ في التخويف فإنه قد يتجاهل ما يقوله.

ج- خبرات الاتصال السابقة للمتلقي: حيث أشارت بعض الدراسات إلى أنه حينما يتعرض بعض الناس لرسائل تثير (الخوف) والتوتر، يقل جانب الخوف لديهم، إذا سبق أن تعرضوا لرسائل مشابهة، فالتعرض السابق للمعلومات يؤدي إلى نوع من التحصين العاطفي، ذلك أن عنصر المفاجأة يزيد من درجة الإثارة العاطفية التي تحدثها الأنباء السيئة.

ويقوم استخدام استمالات التخويف أو التهديد على الفروض الآتية:-

أ- استخدام هذه الاستمالات يؤدي إلى إحساس الفرد بالتوتر، نتيجة لزيادة الإحساس بالخوف أو الشعور بالعزلة، التي تركز عليها رموز الرسالة.

ب- الإحساس بالتوتر - في هذه الحالة - يشكل حافزاً للفرد على تجنب الخطر أو النتائج غير المرغوبة.

ج- سوف يستجيب الفرد، بتأثير الحافز، إلى أي توصيات تجنبه هذا الخطر أو النتائج غير المرغوبة.

د- من خلال التجريب والتدعيم، تتحول الاستجابات من ثم إلى عادات سلوكية تتفق مع أهداف القائم بالاتصال.

ويمكن استخلاص بعض الفروض الخاصة ببناء الرسالة، التي تشير إلى التهديد أو التخويف من مثل:-

أ- اقتراب التهديد من المتلقي شخصياً يزيد من حالة التوتر، وهذا مما يضيف على التهديد معنى ذاتياً.

ب- يرتبط التهديد بالاقتراب الزمني، فاحتمال الحدوث لا يعطي أثراً واضحاً مثل الحدوث الفعلي، وكذلك لا يعطي المتلقي اهتماماً بالأحداث البعيدة الحدوث، فالفرد يميل إلى تجاهل التهديد أو التخويف حتى تظهر مؤشرات واضحة وقرينة بالخطر الذي يعبر عنه التهديد.

ج- هناك علاقة ارتباطية عكسية بين قدر التهديد والاستجابة إلى توصيات الرسالة، لأن المبالغة في التهديد قد تيسر التحدي لدى المتلقي، أو تجعله يتجنب الرسائل التي تشير إلى هذا التهديد.

د- وضوح الرسالة يؤدي إلى إمكانية تنفيذ توصياتها، وهذا يختلف عن وضوح وظهور الخطر أو غموضه، لأن غموض الخطر وعدم معرفة المتلقي بأبعاده يزيد من توتره أكثر من التهديد المعروف.

هـ- كلما كانت التوصيات في حدود قدرات المتلقي وإمكانياته كلما كان من السهل تنفيذها والالتزام بها.

وفي القرآن الكريم نجد أمثلة كثيرة على ذلك، منها:

- الآيات التي وردت بشأن الربا ومن ذلك قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ۲۷۵).

- ومنها آيات سورة المائدة، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ

فَأَقْطَعُوهَا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ۳۸) وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ حِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (المائدة: ۹۵)، وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ۹۸).

وغير ذلك من الآيات الكثيرة، التي استخدمت هذا النوع من الاستمالات لبيان معاني محددة وأحكاماً ذات صلة بالقضايا الدينية والدنيوية.

أساليب الإقناع المستخدمة في الرسالة الاتصالية

تتنوع وتتعدد الأساليب المستخدمة في الرسالة لإقناع المتلقي بمضمونها؛ فأساليب عرض المحتوى تؤثر على التعليم والإقناع، وهناك العديد من الاعتبارات التي تؤدي إلى اختيار أسلوب معين لتقديم النص الإعلامي، واستخدام نوع معين من الاستمالات، بما يتوافق وطبيعة الموضوع وخصائص جمهور المتلقين.. ومن تلك الأساليب الإقناعية:

١- وضوح الأهداف مقابل استنتاجها ضمناً:

الإقناع يكون أكثر فعالية عند ذكر أهداف الرسالة أو نتائجها بوضوح، لذلك يجب أن لا نترك للجمهور عبء استخلاص النتائج بنفسه.. وقد أسفرت نتائج الدراسات والبحوث التي أجريت على الجمهور، فيما يتعلق بتغيير الاتجاهات، عن أن الذين غيروا اتجاهاتهم بما يتوافق وأهداف الرسالة بلغت الضعف حينما قدم المتحدث نتائجه بشكل محدد، وذلك بالمقارنة إلى نسبة الذين غيروا اتجاهاتهم بعد أن تعرضوا لرسالة ترك المتحدث نتائجها يستخلصها الجمهور.

وفي الواقع فإن القرآن جاءت آياته كلها واضحة الأهداف.
ومما يجدر ذكره أن هذه الأساليب والاعتبارات قد تذهب إلى
أبعد من ذلك، حيث تتجاوز مستوى الوضوح مقابل الضمنية، فهي
أيضاً تتوقف على ظروف أخرى كثيرة مثل:

أ- مستوى تعليم وذكاء المتلقي.

ب- درجة أهمية الموضوع أو ارتباطه بالمتلقي.

ج- نوع القائم بالاتصال.

فالملاحظ أنه كلما زاد ذكاء المتلقي وتعليمه كان من الأفضل
ترك الهدف ضمناً.. وإذا كان الموضوع مهماً للمتلقي فسوف تتوفر
لديه معلومات كثيرة عنه، الأمر الذي يجعله يدقق ويتفحص رسائل
القائم بالاتصال وأهدافه، وبالتالي يصبح تركه يستخلص النتائج
بمعرفة أكثر فعالية، كذلك إذا كان القائم بالاتصال محل شكوك
المتلقي فإن تأثيره سوف يقل إذا قدم الرسالة بشكل محدد، ويمكن
ملاحظة ذلك في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح في
الآيات من (٦٦) - (٨٠) من سورة الكهف.

٢- تقديم الأدلة والشواهد:-

يقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾
وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ
كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠).

يسعى معظم القائمين بالاتصال إلى دعم رسائلهم الإقناعية
بتقديم أدلة أو عبارات تتضمن إما معلومات واقعية أو آراء منسوبة
إلى مصادر أخرى غير القائم بالاتصال.. ويمكن تقديم بعض
التعميمات حول تأثير تقديم الأدلة والشواهد، منها:

أ- يرتبط استخدام الأدلة والشواهد في الرسالة بإدراك المتلقي
لمصداقية المصدر، فكلما زادت مصداقية المصدر قلت الحاجة
لمعلومات تؤيد ما يقوله.

ب- تحتاج بعض الموضوعات أدلة أكثر من غيرها، خاصة تلك
الموضوعات التي لا ترتبط بالخبرات السابقة للمتلقي.

ج- يقلل التقديم الضعيف للرسالة من وقع وتأثير أي دليل.

د- تقديم الأدلة يكون وقع أكبر على الجماهير الذكية، أي
أولئك الذين يتوقعون إثباتاً للأفكار المعروضة عليهم.

هـ - يتوقف تأثير الدليل على ما إذا كان المتلقون يعتبرونه صحيحاً أو غير صحيح.

٣- عرض جانب واحد من الموضوع مقابل عرض الجانبين، المؤيد والمعارض:

وجد بعض الباحثين أن تقديم الحجج المؤيدة والمعارضة في الموضوع الواحد أكثر فعالية وأقدر على التعبير لدى الفرد المتعلم، وحين يكون الجمهور متردداً فإن تقديم الجانبين يكون أقوى أثراً.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَيَمْنُ سَبِيحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰٓؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صٰٓدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا قَدِّمُوا بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّآ أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ (البقرة: ٣٠-٣٣).

ولذلك نجد أن الآية رقم (٣٤) في سورة البقرة تؤكد أن الملائكة قد وصلوا إلى قناعة بالطرح الرباني، فحينما أمرهم بالسجود لآدم عليه السلام أقبلوا دون تردد، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٣٤).

وفي المقابل يكون التركيز على جانب واحد من الموضوع أكثر فعالية على تغيير آراء الأفراد الأقل تعليماً، أو الأفراد المؤيدين لوجهة النظر المعروضة في الرسالة، حيث يصبح تأثير الرسالة في هذه الحالة تدعيماً.

٤- ترتيب الحجج الإقناعية داخل الرسالة:-

يشار إلى الرسالة التي تحتجز أقوى وأهم الحجج إلى النهاية بأنها تستخدم في ذلك ترتيب الذروة، أو تأثير النهاية، أما الرسالة التي تقدم الحجج الأقوى في البداية فهي تتبع تأثير عكس الذروة أو تأثير البداية.. ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه ليس هناك قاعدة أو قانون عام لترتيب الحجج في عملية الإقناع، فقد ذهبت بعض الدراسات إلى أن الحجج التي تُقدم في البداية تأثيرها أقوى من الحجج التي تقدم في النهاية، بينما أظهرت دراسات أخرى نتائج عكس ذلك.. ويرى

بعض الباحثين أن تأجيل الحجج الأقوى حتى النهاية أفضل من تقديمها في البداية، ولنا أن نلاحظ ترتيب الحجج في القرآن الكريم، كما في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود، حيث جاءت الحجة القوية في نهاية الأمر: ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

٥- استخدام الاتجاهات والاحتياجات الموجودة لدى الجماهير:

يرى علماء الاجتماع أن الجمهور يكون أكثر استعداداً لتدعيم احتياجاته الموجودة عن طريق تطويره لاحتياجات جديدة عليه تماماً؛ بمعنى أن الرسالة تكون أكثر فعالية حينما تجعل الرأي أو السلوك الذي تعرضه يبدو للجمهور على أنه وسيلة لتحقيق احتياجاته الموجودة فعلاً، وفي القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُونَنِي اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (المائدة: ١١٢-١١٣).

٦- التكرار:

يرى عدد من علماء الاتصال أن تكرار الرسالة من العوامل التي تساعد على الإقناع؛ ذلك أن التكرار يؤدي إلى تذكير المتلقي باستمرار بالهدف من الرسالة، ويثير في الوقت نفسه احتياجاته ورغباته. وفي القرآن الكريم نجد الكثير من الآيات والقصص قد تم تكرارها، وخير مثال لذلك قصة سيدنا موسى عليه السلام.

فهذه هي استمالات وأساليب الإقناع التي اتفق حولها كثير من الباحثين في هذا المجال، ويوصي عدد منهم بضرورة اختيار الرموز اللغوية الواضحة والمفهومة والمألوفة، والبعد عن الألفاظ أو الرموز المهجورة، مع مراعاة خصائص الجمهور فيما يتعلق باستخدام قواعد النحو والصرف، والأساليب البلاغية، وهذا كله مما يؤثر على يسر القراءة وسهولة التعرض للوسيلة الإعلامية، ولكن مما يثير الجدل شيوع الاعتقاد بأن اللغة الانفعالية تعتبر أحد الأساليب المهمة في الإقناع، وبالتالي يعتبر مستوى اللغة الانفعالية أحد الخيارات المطروحة في الرسائل الإقناعية.

الفصل الثالث

القرآن الكريم وأساليب الإقناع

الله تعالى هو المصدر الأول لكل علم: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الرعد: ١٦) ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦) ،
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٥) ، ﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ (الحجرات: ٢١) ،
﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (السنحل: ٧٨) ، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ٥) ، ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨).

ولأن الله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار، ولا نتلقى منه مباشرة، فقد جعل من دونه مصدرين رئيسين يستقي منهما الإنسان معرفته هما: القرآن والكون.

إن المحتوى المعرفي لأي علم من العلوم يعتمد اعتماداً كلياً على مصدر تلك المعرفة، ويضطرر معها اطراداً مباشراً؛ بمعنى أن المصدر إذا كان مدركاً لكل صغيرة وكبيرة وملماً بكل جزئية في علم ما من

العلوم، فإنه يترتب على ذلك علو قدر تلك المعرفة المستقاة من ذلك المصدر.. وبما أن مصدر المعرفة في المنهجية الإسلامية هو الله سبحانه وتعالى، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين، فإن من إيجابيات هذا المصدر المباشر أن المتلقي للمعرفة يشعر بأمن واطمئنان في أنه سيجد الإجابة من هذا المصدر عن كل سؤال يخطر على باله، كالظمان الذي يبحث عن قطرة ماء فيجد أمامه نهراً عذباً ليرتوي منه^(١).

فالقرآن الكريم، وهو كلام الله تعالى، المنزل على سيدنا محمد ﷺ، بلفظه ومعناه، المتعبد بتلاوته، قد أحققت حفاوة كبيرة بالعلم والعلماء، وأشاد بهما، ورفع من أقدارهما، بل عد العلم من صفات الكمال لله، قال تعالى: ﴿نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ (التحریم: ٣)، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (طه: ٩٨).

وبعد أن من الحق عز وجل على سيدنا آدم، أبي البشرية، بنعمة الإيجاد من العبد، من عليه بنعمة العلم: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١)، وبه فضله.. وكذلك من الله تعالى على الأنبياء

(١) مبارك محمد علي مجنوب، خلق الإنسان في القرآن (منني، السودان: جامعة الجزيرة، معهد إسلامية المعرفة، دار المركز الإسلامي الأفريقي للطباعة، ١٩٩٤م) ص ٢.

والمرسلين بنعمة العلم والحكمة: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَءَاهُ آيَاتِنَا حُكْمًا
 وَعِلْمًا ﴾ (يوسف: ٢٢)، وقال عن داود وابنه سليمان عليهما السلام:
 ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (الأنبياء: ٧٩)، واعتبر العلماء أشد
 الناس خشية لله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر: ٢٨)،
 وجعل معجزة رسالته الخاتمة كتاباً خاتماً، هو كتاب القرآن، وأول
 كلمة فيه: ﴿ اقْرَأْ ﴾، وأقسم بأداة الكتابة: ﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾
 (القلم: ١)، وهو يدعو عباد الله للعلم والسعي إليه وتحصيله بالنظر
 في آفاق الكون والآنفس: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
 (يونس: ١٠١)، ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ ﴿ ٢٠ ﴾ ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا
 تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٠-٢١)، ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ
 خُلِقَتْ ﴾ ﴿ ١٧ ﴾ ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ ﴿ ١٨ ﴾ ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾ ﴿ وَإِلَى
 الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠)، وعد المقصرين فيه
 لا يستون مع الذين يعلمون... وجعله سبيلاً إلى معرفة الخالق حق
 معرفته، ومن هنا أحاط القرآن بقضايا العلم، وكانت علومه كافية
 للناس والحياة^(١).

(١) حسن عيسى عبد الظاهر وآخرون، بحوث في الثقافة الإسلامية، ط ١ (الدوحة: دار
 الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٣م) ص ١٤١.

والقرآن الكريم كمصدر للمعرفة تجلّى إعجازه في أمور كثيرة،
إعجاز في نظمه وبلاغته وإعجاز في قصصه وأخباره؛ إعجاز
فيما انطوى عليه من الإخبار بالغيبيات التي لم تكن معهودة عند
التنزيل؛ وإعجاز فيما أشار إليه من حقائق مثبتة في أرجاء الكون
الفسيح تجلت وتبدت في عصرنا الراهن بعد تقدم العلم وكشوفاته
في الأنفس والآفاق.. كيف لا يكون القرآن كذلك وهو منزل
من عند الله تعالى؟

يقول الإمام السيوطي: إن كتاب الله تعالى اشتمل على كل
شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل، إلا وفي
القرآن شرح أفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن
إشارة إلى مجامعها^(١).

بل إن كل ما أشكل فهمه على النظائر واختلفت فيه الخلائق،
في النظريات والمعقولات، في القرآن رموزٌ إليه ودلالات عليه، يختص
أهل الفهم بإدراكها.. وقد ظل القرآن منذ نزوله على النبي ﷺ، وإلى
يومنا هذا معجزة خالدة، نستمد منها كل يوم الدروس والعبر إلى أن

(١) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين (بيروت: دار الآفاق للطباعة والنشر) ١٣٥/٣.

يرث الله الأرض ومن عليها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال له: «يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطونه، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله، قال: علمت قريش أني من أكثرهما مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وكاره، قال: وماذا أقول؟؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزة ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه يعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ...، فقال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره^(١) فنزلت الآيات: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا﴾ (المدثر: ١-٢٥) «^(٢).

وقد ظل القرآن يؤثر على سامعيه منذ القدم، ولعل قصة الوليد بن المغيرة سابقة الذكر تدل على ذلك.. وحديثاً، فقد استعملت أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس الآثار والتغيرات

(١) ابن هشام، السنة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط ١ (الرياض: دار الفنى للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م) ٢٨٣/١.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل.

الفسولوجية عند عدد من المتطوعين الأصحاء أثناء استماعهم لتلاوات قرآنية... وقد تم تسجيل وقياس أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين بالعربية.. وبالنسبة لغير المتحدثين باللغة العربية، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، فقد تليت عليهم مقاطع من القرآن الكريم باللغة العربية، ثم تليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية، وفي كل هذه المجموعات أثبتت التجارب المبدئية وجود أثر مهدىء للقرآن بنسبة ٩٧%.. وهذا الأثر ظهر في شكل تغيرات فسيولوجية تشير إلى مستوى تأثير الجهاز العصبي التلقائي. وتفاصيل هذه النتائج المبدئية عرضت على المؤتمر السنوي السابع عشر للجمعية الطبية الإسلامية بأمريكا الشمالية الذي عقد في مدينة سانت لويس، في أغسطس ١٩٨٤م، ولقد ظهر من الدراسات المبدئية أن تأثير القرآن على التوتر يمكن أن يُعزى لعاملين^(١):

الأول: هو صوت القرآن الكريم في كلمات عربية، بغض النظر عما إذا كان المستمع قد فهمها، وبغض النظر عن إيمان المستمع.
الثاني: هو معاني المقاطع القرآنية التي تليت، حتى ولو كانت مقتصرة على الترجمة الإنجليزية بدون الاستماع للكلمات القرآنية باللغة العربية.

(١) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، ط٢ (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م) ص ٣٠٧.

وإذا كانت النظرية الإعلامية البشرية تقول: إن الرسالة الإعلامية ينبغي أن تتجانس مع مستقبلها، وإنما تؤثر على مستقبل معين دون أن تؤثر على مستقبل آخر ذي خصائص مختلفة، فإن الإعجاز الإعلامي للقرآن يقدم إطاراً من نوع آخر، فالقرآن يخاطب كل البشر، الغني والفقير، والمتعلم وغير المتعلم، كما يخاطب كل الأجناس، فالؤمن غير المستقر، لظرف ما، إذا سمع القرآن عاد إلى حالة ملائمة، وكذلك الحال للمتعلم وغير المتعلم، والرجل والمرأة، العجوز والشباب... إلخ.. أي أنهم يتأثرون بشدة رغم اختلاف الثقافة والبيئة واللغة والحالة النفسية، أي أن القرآن يخاطب في البشر ما لا يعلمه البشر بدقة، ويعلمه الله، فالله يخاطب في النفس ملكات يعلمها، وتتأثر به، ونحن نفسر هذه الأمور وفقاً لعلمنا المحدود^(١).

من كل ما تقدم يمكننا القول: إن القرآن الكريم يُعتبر رسالة إقناعية خاطبت العقل البشري من خلال استراتيجيات محددة وأساليب إقناعية معروفة في عالم اليوم.. وبهذا فإنه مثلما سبق القرآن الكريم الاكتشافات العلمية الحديثة بعشرات القرون، فهو أيضاً سبق مرتكزات النظرية الإعلامية بذات القدر.

(١) محمد علي العويني، الإعلام الإسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق، ط٢ (القاهرة: ١٩٨٦م) ص ١٩١.

القرآن والاستراتيجية الدينامية النفسية للإقناع

إن جوهر الاستراتيجية الدينامية النفسية هو استخدام رسالة إعلامية فعالة، لها القدرة على تغيير الوظائف النفسية للأفراد حتى يستجيبوا لهدف القائم بالاتصال، أي أن مفتاح الإقناع يكمن في تعلم جديد من خلال معلومات يقدمها القائم بالاتصال حتى يتغير البناء النفسي الداخلي للفرد المستهدف (الاحتياجات - المخاوف - التصرفات) مما يؤدي إلى السلوك العلني المرغوب فيه.

فمن بين المداخل المختلفة للإقناع: محاولة التغيير في البناء النفسي للفرد، بإثارة حاجياته أو دوافعه أو اتجاهاته، ومن ضمن الأنواع الشائعة في هذا المجال هو إثارة توقعات المتلقي بأن قيامه بسلوك معين سوف يجنبه أخطاراً ما أو حرماناً، أو يؤدي إلى فقدانه القبول الاجتماعي.

حيث يركز المحتوى في هذه الحالة على الأخطار أو النتائج غير المرغوبة إذا لم يستجب المتلقي لتوصيات الرسالة الإقناعية.

وفي القرآن الكريم تقع آيات الترغيب والترهيب ضمن هذه الاستراتيجية، وهي كثيرة جداً، غالبية، طاغية، ومقصدها الزجر من ارتكاب محظور، أو الحث على امثال مأمور، وغاية الكل صلاح

الفرد وفوزه ونجاته من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي
لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَبِيرًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١﴾
(الإسراء: ٩-١٠).

وفيما يلي مزيداً من الآيات القرآنية التي توضح استخدام القرآن
للاستراتيجية الدينامية النفسية، مع بيان تفسير هذه الآيات عند ابن
كثير، مع الأخذ في الاعتبار أن الآيات التي سنقوم بذكرها من القرآن
الكريم تأتي على سبيل المثال وليس الحصر:

أ- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا
بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾
فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ (البقرة: ٢٣-٢٤).

في هذه الآية تقرير لنبوة محمد ﷺ وتحد من الله تعالى للكافرين
أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو ببعضه، فإن عجزوا - والحال
أنهم سيعجزون - فالنار مثواهم، فهو تهديد ووعيد لهم^(١) وبمراجعة

(١) أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار الفكر،

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ١/٩٢.

مرتكزات الاستراتيجية الدينامية النفسية نجد أن هذه الآيات توضح الأخطار أو النتائج إذا لم يستجب المتلقي لتوصيات الرسالة.

ب- قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَئِمَّ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَآ تَطْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٨-٢٧٩).

جاءت هذه الآيات لترهيب الناس من أكل الربا، قال ابن كثير: أي اتركوا مالكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال بعد هذا الإنذار^(١). فهذه الآية تحاول تغيير البناء النفسي للمجتمع من خلال إثارة الفرد عبر حاجاته أو دوافعه، فهي تطلب من المؤمنين القيام بسلوك معين حتى يتجنبوا أخطاراً معينة.

ج- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ (الفرقان: ٦٨-٦٩).

(١) المرجع السابق، ٤٤٩/١.

هذه كبائر نفاها الله عن عباده الصالحين تعريضاً لما كان عليه أعداؤهم، وفيها الحث والترهيب من فعلها واقترافها^(١).

فهي تؤكد صفات المؤمنين، وبذلك تحاول أن تنشط العامل الإدراكي للمؤمنين، كما أنها في ذات الإطار تحاول أن تعدل من السلوك النفسي لآخرين من خلال الترهيب والوعيد.

د- قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾﴾ (طه: ١١٧-١١٩).

فالآثر المترتب على إصغاء آدم إلى إبليس هو الشقاء المتمثل في التعب في طلب القوت، الذي يسعى له وحده دون امرأته^(٢). فالجانب النفسي في هذه الآيات يخاطب الاحتياجات بهدف الوصول إلى سلوك علي مرغوب فيه.

ه- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤).

(١) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ) ١٧٥/٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٩.

وتشير الآية إلى أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين، فمن اتبع كتاب الله وامثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه^(١).. وفي هذا أيضاً خطاب دينامي نفسي.

و- قوله تعالى: ﴿وَيَنْقُورِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ (هود: ٨٩).

معنى الآية كما قال ابن كثير: أي لا تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح وهود وقوم لوط^(٢) - النقمة والعذاب - وبما أن هؤلاء القوم يعرفون ما حدث للأقوام المذكورين، ففي هذا بعد دينامي نفسي.

ز- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْطُلُ فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّالْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (غافر: ٧٠-٧٢).

قال ابن كثير: هذا تهديد شديد ووعيد أكبر من الرب جل جلاله لهؤلاء^(٣).. وهو أيضاً خطاب دينامي نفسي.

(١) المرجع السابق، ص ٦٩.

(٢) ابن كثير، مرجع السابق، ٧٠٧/٢.

(٣) المرجع السابق، ١٣٢/٤.

ح- قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحریم: ٦).

قال ابن عباس: يقول اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم من النار^(١).. وفي هذا أيضاً خطاب دينامي نفسي.

فمن الآيات كلها، التي سبق ذكرها، يمكن القول: إن القرآن الكريم يسعى إلى التغيير في البناء النفسي للفرد من خلال استعمال استمالات التخويف أو التهديد.. والأمر الجدير بالملاحظة أن الآيات القرآنية التي تعمل على إثارة التوتر العاطفي نتيجة استمالات التهديد أو التخويف، تتضمن في الوقت ذاته التوصيات التي يمكن بمقتضاها تجنب الفرد مصادر هذا التهديد. ومن خلال تجريب هذه التوصيات وتدعيمها، فإنها تتحول إلى عادات سلوكية تتفق مع أهداف القائم بالاتصال، وهو النبي ﷺ، وهذا جوهر الاستراتيجية الدينامية النفسية للإقناع.

(١) المرجع السابق، ٦١٠/٤.

القرآن والاستراتيجية الثقافية الاجتماعية للإقناع

إذا كان التخوف أو التهديد يثير في الفرد الحاجة إلى الأمن أو تجنب الحرمان من تلبية حاجيات أخرى، بوصفها دوافع للفرد تدفعه للاستجابة السلوكية التي تلي حاجاته، فإن المدخل الثاني للإقناع يركز على العلاقات الاجتماعية، ودافعية الانتماء، وحرص الفرد على تقدير الجميع له، بحيث يجعله يتجنب السلوك الذي لا ترضى عنه الجماعة، ويستجيب إلى السلوك الذي يتوافق مع المعايير الاجتماعية التي تتمثل في القيم والتقاليد والأعراف التي تحدد معايير السلوك لدى الجماعة والمجتمع وخصائصه الثقافية.

وهذه المعايير والقواعد والضوابط، تمثل بالنسبة للقائم بالاتصال، في عملية الإقناع، مؤشرات لاتجاهات التأييد أو المعارضة، القبول أو الرفض، أو بصفة عامة قبول التوصيات أو رفضها في الرسالة الإقناعية، وهذا مما يؤكد أهمية احتواء الرسالة على الرموز التي تتفق مع هذه القواعد والمعايير والضوابط، بحيث ترسم التوقعات بأنماط السلوك، كما ترسم للمتلقي حدود الاتفاق أو الاختلاف مع هذه

القواعد والمعايير والضوابط، وبالتالي التوقعات بالثواب والعقاب الذي يتمثل في القبول الاجتماعي من الجماعة أو المجتمع^(١).

إن ما تتطلبه استراتيجية ثقافية اجتماعية فعالة هو أن تحدد رسائل الإقناع للفرد قواعد السلوك الاجتماعي أو المتطلبات الثقافية التي تحكم أنشطة العمل، التي يحاول رجل الإعلام أن يحدثها.. وإذا كانت التحديات موجودة فعلاً، تصبح المهمة هي عملية إعادة تحديد هذه المتطلبات.

وفي القرآن الكريم اقترنت هذه الاستراتيجية بمعجزات الرسل، عليهم السلام، حيث كانت هذه المعجزات تتفق مع القيم والعادات والأعراف التي كانت سائدة في مجتمع كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار، وحيرت كل السحرة، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من عباد الله الأبرار..

(١) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التغيير، مرجع سابق، ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد..

وكذلك محمد ﷺ بعث في زمان البلغاء والفصحاء وتجاريد الشعراء، فاتاهم بكتاب من الله عز وجل، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله، لم يستطيعوا أبداً وإن كان بعضهم لبعض ظهيراً، وما ذاك إلا لأن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبداً^(١).

ففي قصة سيدنا موسى، عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ٣٦٥/١.

كَذِبًا فَيُسْحِكُكَ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴿٥٦﴾ فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُمْ
 بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذِهِ لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ
 مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴿٥٨﴾ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ
 ثُمَّ اتَّخَذُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٥٩﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى
 وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٠﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ
 إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦١﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٢﴾ قُلْنَا لَا
 تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٣﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا
 صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٤﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجْدًا
 قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٦٥﴾ (طه: ٥٦-٧٠).

يقول الله تعالى مخبراً عن فرعون: إنه قال لموسي حين أراه الآية
 الكبرى، وهي إلقاء عصاه فصارت ثعباناً عظيماً، ونزع يده من تحت
 جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء، قال: هذا سحر جئت به
 لتسحرنا وتستولي به على الناس فيتبعونك وتكاثرنا بهم، ولا يتم هذا
 معك فإن عندنا سحراً مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه، فاجعل
 بيننا وبينك موعداً، أي يوماً نجتمع نحن وأنت فيه، نتعارض ماجئت
 به بما عندنا من السحر في مكان معين وفي وقت معين، فعند ذلك

قال لهم موسى: موعدكم يوم الزينة، وهو يوم عيدهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماع جميعهم، ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهذا قال: وأن يُحشر الناس ضحى، ليكون أظهر وأجلى وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، أمرهم بين واضح، أما فرعون فلما تواعد هو وموسى عليه السلام إلى وقت ومكان معلوم ﴿فَتَوَلَّى﴾ أي شرع من مدائن مملكته حيث كان السحر كثيراً نافقاً، ثم بعد ذلك اجتمع الناس في الميقات المعلوم، وهو يوم الزينة، وجلس فرعون على سرير مملكته واصطف له أكابر دولته، ووقفت الرعايا يمنة ويسرة، وأقبل موسى عليه السلام معه أخاه هارون، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفاً وهو يحرصهم ويحثهم ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم، ويتمنون عليه وهو يعدهم ويمنيهم، يقولون:

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ

﴿١١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤١﴾ (الشعراء: ٤١-٤٢).

﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (طه: ٦١)

أي لا تخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها وأنها مخلوقة

فتكونون قد كذبتهم على الله ﴿ فَيَسْجِئُكُمْ بِعَذَابٍ ﴾ (طه: ٦١) أي
يهلككم بعقوبة هلاكاً لا بقية له: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ﴾ ﴿١١﴾
فَتَنْزَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴿ (طه: ٦٢) قيل: إنهم تشاجروا فيما بينهم،
فقائل يقول: ليس هذا بكلام ساحر إنما هذا كلام نبي، وقائل يقول
له: بل هو ساحر، ثم تناجوا فيما بينهم، ثم قالوا تعلمون أن هذا
الرجل وأخاه - يعنون موسى وهارون - ساحران عالمان خبيران
بصناعة السحر، يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم
ويستوليا على الناس وتتبعهما العامة، ويقاتلا فرعون وجنوده،
فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم.. وقوله: ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمْ
الْمَثَلَى ﴾ (طه: ٦٣) أي يستبدا بهذه الطريقة، وهي السحر، ثم قال
السحرة: ﴿ إِمَّا أَنْ تُلْقَى ﴾ - أي أنت أولاً ﴿ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ
مَنْ أُلْقَى ﴾ ﴿١٢﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴿ أي أنتم أولاً لنرى ماذا تصنعون من
السحر، وليظهر للناس جلية أمرهم، فلما ألقى كل منهم سحره،
خاف موسى على الناس من أن يفتنوا بسحرهم ويغفروا بهم، قبل أن
يلقى ما في يمينه، فأوحى الله تعالى إليه في الساعة الراهنة أن ﴿ وَأَلْقِ مَا
فِي يَمِينِكَ ﴾، يعني عصاك، فإذا هي تلقف ما صنعوا، وذلك أنها
صارت تيناً عظيماً هائلاً ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس، فجعلت

تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئاً إلا تلقفته، والسحرة والناس ينظرون ذلك عياناً، جهرة، فهاراً ضحوة، فقامت المعجزة واتضح البرهان، ووقع الحق وبطل السحر، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرًا وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾.

فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه، ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه، علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل، وأنه حق لا مرية فيه، ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء: ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ فعند ذلك وقعوا ساجداً لله، وقالوا: آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون، ولهذا قال ابن عباس وعبيد بن عمير: كانوا أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء بررة^(١).

ففي هذه القصة يعتبر تخطيط الرسالة الإعلامية وبنائها هو العامل الأساس لنجاح العملية الإقناعية، التي استهدفت بناء اتجاهات وأنماط سلوكية جديدة في مجتمع كان يؤمن بالسحر وأفعال السحرة، وكان مدخل ذلك البناء الوجداني، بجانب البناء المعرفي، باعتبارهما العناصر

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ٣/١٥٧-١٥٨.

الأساس لبناء الاتجاهات والميل السلوكي، وفقاً للاستراتيجية الثقافية والاجتماعية.

وفي قصة سيدنا عيسى، عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِن الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٩).

يقول ابن كثير: كان سيدنا عيسى عليه السلام يفعل بصور الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير بإذن الله عز وجل، عياناً بياناً، فكانت هذه معجزة تدل على أنه مرسل من عند الله.. ﴿ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ ﴾ قيل: إنه الذي يبصر نهاراً ولا يبصر ليلاً، وقيل بالعكس، وقيل الأعشى، وقيل الأعمش، وقيل هو الذي يولد أعمى، وهو أشبه لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي.. ﴿ وَالْأَبْرَصَ ﴾ معروف.. ﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَى ﴾، وهذه معجزة تتجانس والزمن الذي بعث فيه سيدنا عيسى عليه السلام، زمن الطب وأصحاب علم الطبيعة.. ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾

أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن وما هو مدخر في بيته.. وكل هذه آيات لكم تدل على صدق ما جئكم به^(١).. فالبعد الثقافي والاجتماعي في رسالة سيدنا عيسى عليه السلام يهدف إلى تعديل صياغة سلوك اجتماعي متفق عليه من قبل الجماعة، وتحديد متطلبات ثقافية وقواعد سلوكية من خلال أدوار محددة، وكانت المعجزات الطبية التي جاء بها من عند الله تعالى مسرحاً لذلك.

أما سيدنا محمد ﷺ فقد بُعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء، فكانت معجزته كتاباً من عند الله عز وجل، تحدى به الله سبحانه وتعالى الجن والإنس على أن يأتوا بمثله، وأشار الحق عز وجل إلى أنهم لن يستطيعوا ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء: ٨٨).

ينبئ الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على شرف هذا القرآن العظيم، فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم واتفقوا على

(١) للمرجع السابق، ١/٣٦٤ - ٣٦٥.

أن يأتوا بمثل ما أنزل على رسوله، لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا، فإن هذا أمر لا يستطيع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير ولا مثيل ولا عديل له، وقد روى ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير، أو عكرمه عن بن عباس قال: إن هذه الآية نزلت في نفر من اليهود جاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به، فأنزل الله هذه الآية^(١).

ولعل موقف الوليد بن المغيرة، الذي أشرنا إليه سابقاً، يأتي في السياق ذاته.

إن معجزات الأنبياء تأتي دائماً متجانسة مع النمط الثقافي والاجتماعي السائد في زمن نبي، فإذا ما عجزت الثقافة السائدة عن المجاهدة والتصدي، والحال كذلك، أيقن المجتمع ذي الفطرة السليمة والبصيرة النافذة أن ما جاء به النبي هو من عند الله تعالى، فتقوم الحجة ويقع الدليل والبرهان، فتسود ثقافة جديدة ومجتمع

(١) للمرجع السابق، ٦٢/٣.

جديد، ممثل لأوامر الله تعالى، مجتنباً لنواهيهِ، ولا يتخلف عن الركب
إلا مكابر أو صاحب غرض وهوى.

ويقع ضمن نطاق الاستراتيجية الثقافية والاجتماعية في القرآن
الكريم المتدرج في التشريع، ومثال لذلك تدرج الأحكام في تحريم
الخمير، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ
فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَسْأَلُونَكَ
مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَفْرُوفُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢١٩)؛ وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا
تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ (النساء: ٤٣)؛ وأخيراً قوله
تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ
بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ
فَهَذَا أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ (المائدة: ٩٠-٩١).

أورد ابن كثير في تفسيره عن أنس بن مالك: بينما أنا أدير
الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانة ومعاذ
ابن جبل وسهيل بن بيضاء، حتى مالت رؤوسهم من خلط بسر

وتمر، فسمعت منادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فما دخل علينا داخل ولا نخرج منا نخرج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال، وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا، وأصبنا من الطيب. ثم خرجنا على المسجد^(١).. فمضمون الآية الأخيـرة تحول إلى سلوك جماعي، كما في رواية الحديث.. ومن ذلك ما أورده ابن كثير أيضاً عن زيد بن ثابت عن أنس قال: كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شراهم إلا الفضيح والبسر، فإذا مناد ينادي، قال: اخرج فانظر، فإذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، فخرجت في سكك المدينة.

من كل ما تقدم، فإن القرآن العظيم يمدنا بمسلمات أساسية لفرضيات الاستراتيجية الثقافية والاجتماعية، وإذا أردنا تتبع ذلك في الآيات القرآنية لما وسعنا هذا السفر، ولكن حسبنا النماذج التي أشرنا إليها، ويمكن للقارئ أن يستنبط الآيات التي تناولت هذه الاستراتيجية من كتاب الله العزيز بعد أن عرف مرتكزاتها وأساليب بنائها.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٧م) ٩٧/٢.

القرآن الكريم واستراتيجية إنشاء المعاني

سبق وأن أشرنا في الفصل الأول إلى أن وسائل الإعلام الجماهيرية تستخدم في إنشاء ودعم الصور الذهنية من خلال مصادر غير محددة للمعلومات، والتي تصوغ معاني جديدة، أو تبدل المعاني التي نخبها الناس عن كل شيء، وهذا هو جوهر استراتيجية إنشاء المعاني كمرتكز ثالث للإقناع في الرسالة الإعلامية.

وفي القرآن الكريم نجد استخداماً واسعاً لهذه الاستراتيجية، خاصة وأن الإسلام جاء لتغيير مجتمع كان يعيش في جهل وتخلف ويحتاج إلى صياغة جديدة تقوم على قيم فاضلة وأخلاق حميدة ومثل وسلوكيات يجب أن تتبع، وكان التغيير بحاجة إلى إنشاء معانٍ جديدة وتغيير معانٍ أخرى راسخة، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة جاءت في هذا السياق، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٠٤).

قال ابن كثير: هي الله عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقامهم وفعالهم، ذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية

لما يقصدونه من التنقيص عليهم، فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا
يقولوا: راعنا، ويورون بالرعونة كما قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ...﴾^(١) ففي هذه الآية يدعو الله
سبحانه وتعالى عباده إلى استخدام معانٍ جديدة بدلاً من تلك
المستخدمة، خاصة وأن المعنى المنهني عنه يحمل أكثر من معنى عند
استخدامه من قبل اليهود.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَّةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة: ١٥٨)،
جاء في سبب نزولها عن عاصم قال: سألت أنس بن مالك
عن الصفا والمروة، فقال كانا من شعائر الجاهلية، فلما كان الإسلام
أمسكوا عنهما فزلت الآية^(٢).

وفي هذا تغيير للمعاني، فشعائر الإسلام تختلف في معانيها عن
تلك التي كانت تمارس في الجاهلية، وفي ذلك تصحيح للمفاهيم التي
كانت سائدة في الجاهلية، ودفع للخرج عن المسلمين.

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ١/١٤٨.

(٢) أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي
(بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ نشر) القسم الأول، ص ٦٤.

وفي السياق ذاته قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٢٢). قال ابن العربي: هو خلف الأبناء على حلائل الآباء، إذ كانوا في الجاهلية يستقبحونه ويستهجنون فاعله، ويسمونه المقتي، نسبوه إلى المقت.. قال: وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ يعني من فعل الأعراب في الجاهلية، إذ أن بعضهم كانت الحمية تغلب عليه فيكره أن يعمر فراش أبيه غيره فيعلو هو عليه؛ ومنهم من كان يستمر على العادة وهو الأكثر، فعطف الله بالعفو عما مضى^(١) وفي ذلك إنشاء معنى جديداً يفضي إلى سلوك جديد متعلق بحفظ الأنساب.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب: ٤)، قال ابن كثير: نزلت هذه الآية في شأن زيد ابن حارثة رضي الله عنهما مولى النبي ﷺ.. كان النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة، فكان يُقال له: زيد بن محمد، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يقطع هذا

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ٤٦٥/٣.

الإلحاق وهذه النسبة، بقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾^(١)

وفي ذلك إنشاء لمعان جديدة تقود إلى اتباع سلوك جديد.

والآيات القرآنية التي قادت إلى إنشاء معانٍ جديدة أكثر من أن تحصى أو تعد.. وفيما يلي طائفة أخرى منها:

- قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى .. ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

ذكر الإمام القرطبي في تفسيره أن سودة رضي الله عنها قيل لها: لم لا تحجّين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججتُ واعتمرتُ، وأمرني الله أن أقرّ في بيتي.. قال الراوي: فوالله ما خرجتُ من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها، رضوان الله عليها.. قال ابن العربي: «لقد دخلتُ نيفاً على ألف قرية، فما رأيت نساءً أصون عيالاً ولا أعفّ نساءً من نساء نابلس، التي رُمي بها الخليل ﷺ بالنار، فلإني أقمتُ فيها فما رأيت امرأة في طريق نهاراً إلا يوم الجمعة، فإنهن يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهن، فإذا قضيت الصلاة وانقلبن إلى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى»^(٢).

(١) المرجع السابق، ٤٦٥/٣.

(٢) محمد بن أحمد القرطبي، للجامع لأحكام القرآن، ط ٢ (بيروت: دار إحياء التراث

العربي، ١٩٥٢م) ١٤/١٨٠-١٨١.

فهذه معانٍ جديدة طبقت في عهد النبي ﷺ، والقرون الهجرية الأولى، ونحن الآن بحاجة إلى بعث هذه المعاني من جديد، حتى تنداح في المجتمع في شكل سلوكيات تحفظ للمرأة كرامتها، بدلاً من متابعة أساليب الموضة الغربية التي لا تراعي إلا ولا ذمة في جانب المرأة.

ومن المعاني الجديدة التي جاء بها الإسلام، نجد قول الحق عز وجل: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة: ٢٢).

قال ابن كثير في معرض حديثه عن تطبيق الصحابة رضوان الله عليهم للإرشاد الوارد في هذه الآية: ... ومن هذا القبيل حين استشار الرسول ﷺ المسلمين في أسارى بدر، فأشار أبو بكر الصديق: أن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم، فقال عمر: لا أرى ما رأى يارسول الله، هل تمكني من فلان (قريب لعمر) فأقتله، وتمكن علياً من عقيل،

وتمكن فلاناً من فلان، ليعلم الله أن ليست في قلوبنا مودة للمشركين^(١).. وكم نحن الآن بحاجة إلى هذه المعاني أمثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى، وتنفيذاً لأحكامه.

ويعضى القرآن الكريم في تعليم المجتمع الإسلامي الأول معان جديدة لم تكن موجودة في الجاهلية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣١).

قال القرطبي في تفسيره: روى البخاري عن عائشة أنها قالت: «رحم الله النساء المهاجرات الأول، لما نزل: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن أزهرن فاختمن بهما.. ودخلت عائشة على حفصة بنت أخيها عبد الرحمن رضي الله عنهم، وقد اختمرت بشيء يشف عن عنقها فشقته عليها، وقالت: إنما يضرب بالكثيف الذي يستر»^(٢).

إن سور القرآن الكريم وآياته تحمل جميعها خصائص الرسالة الإقناعية، سواء من خلال الاستراتيجية الدينامية النفسية، أو الثقافية الاجتماعية، أو إنشاء المعاني.. ولعل ما حاولنا إبرازه يأتي على سبيل

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ٤ / ٣٥٢.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، الجزء ١٢ / ٢٣٠.

المثال لا الحصر، فالقرآن الكريم رسالة اتصالية صممت كأساس للإقناع من خلال الطرح الرباني المتكامل، الذي لا تشوبه شائبة أو ينقصه شيء، ونحن في القرن الحادي والعشرين علينا أن نستفيد من السياق الرباني لبعث الإسلام في نفوس المجتمعات المسلمة من جديد، وفي نشر دعوة الله إلى العالم كافة على أساس من الحجّة والإقناع، آخذين في الاعتبار حديث النبي ﷺ، القائل: « مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(١).

فهذه هي استراتيجيات الإقناع، التي أوضحنا كيفية استخدامها في الخطاب القرآني، الذي هدى هذه الأمة للتي هي أقوم، ومن المعلوم بالضرورة أن تبليغ رسالة القرآن الكريم إلى العالمين هو فرض على علماء الأمة، فكان لابد في تبليغ هذه الرسالة العالمية من نقل مضامينها ومعانيها إلى أرجاء العالم كافة بأسلوب مقنع، انطلاقاً من قول علماء الأصول: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

(١) أخرجه البخاري.

الفصل الرابع

استراتيجيات الإقناع ونشر الدعوة

في العصر الحديث

نشر الدعوة الإسلامية واجب على كل مسلم بالقدر الذي يطيقه، وفي حدود العلم الذي تعلمه، غير أننا يجب أن نعلم أن الدعوة الإسلامية ليست مجرد كلمات تردد، أو نخطب تلهب حماس الناس، ولا فلسفة تخاطب العقول فقط، ولكنها دعوة عملية تبعث في اتباعها الحس والحركة، وتؤمن على الناس ما تتطلع إليه نفوسهم وتتشوق إليه عقولهم وقلوبهم من راحة وطمأنينة في النفس وخير ورشاد في واقع الحياة^(١).. ولنا أن نعلم أن عالم اليوم مهياً لهذه الدعوة، فقد اشتكى كثير من المصلحين وعدد من قادة الدول في الغرب من تدهور القيم الأخلاقية والدينية في العالم، خاصة الغربي منه، نتيجة لسيادة الفكر العلماني ونبذ قيم الإيمان والدين والبعد

(١) محمد السيد الوكيل، أسس الدعوة وآداب الدعاة، ط٢ (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦م) ص ١١.

الغيبي للحياة، ومن هؤلاء ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلس الذي قال أمام مركز الدراسات الإسلامية في أكسفورد ببريطانيا:

«لقد أصبحت الحضارة الغربية مولعة بالكسب واستغلاله على نحو مستزايد بما يتنافى مع مسؤولياتنا البيئية.. إن هذا الشعور الهام بالوجدانية والوصاية على الطابع القدسي والروحي للعالم من حولنا شيء مهم يمكن أن نتعلمه من جديد من الإسلام.. إنني على ثقة بأن بعض الناس ستسارع في اتهامي، كما يفعل عادةً بأنني أعيش في الماضي وأنني أرفض التأقلم مع واقع الحياة العصرية، إن الأمر على عكس ذلك، فما أدعو إليه هو فهم أوسع وأعمق ومتأن أكثر لعالمنا، إنني أدعو إلى إيجاد بعد غيبي، بالإضافة إلى البعد المادي، لحياتنا، بغية استعادة التوازن الذي تخلينا عنه، والذي أعتقد أن غيابه سيثبت أنه مدمر في الأمد الطويل»^(١).

وفي السياق ذاته، تحدث الأمير تشارلس في هيئة الإذاعة البريطانية، في شهر مايو ١٩٩٧م، مؤكداً أن الحضارة الغربية فقدت إيمانها بالله، وذكر أنه استنتج ذلك من الحرج الذي يلاقه كلما تحدث عن الدين في المجتمعات البريطانية المستنيرة، وأنه كان يحتاج إلى

(١) الأمير تشارلس، الإسلام والغرب (أكسفورد، بريطانيا: ١٩٩٣م) ص ٢٠.

استجماع شجاعته الأدبية في كل مرة يريد الحديث فيها عن الدين، ثم قال: إن عقوداً من اتباع النهج العلماني في الحياة عاد بعواقب وخيمة على الغرب، وإن الأمراض والأوبئة، ومنها مرض جنون البقر في بريطانيا، ماهي إلا نتيجة للحياة المادية البحتة، التي يعيشها الناس في الغرب، ودعا إلى الاستفادة من منهج الإسلام في تحصيل العلم والمعرفة، وذلك بالعقل والقلب جميعاً، ودعا كذلك إلى إفساح المجال لعلماء الإسلام للتدريس في الجامعات الغربية والبريطانية، كما دعا إلى فهم أفضل للإسلام الذي ينظر نظرة شاملة إلى الإنسان وإلى الكون، أساسها التوحيد بالله، الذي له الوصاية على الكون، ولو حدث هذا لعرف الإنسان الغربي البعد الغيبي والروحي للحياة^(١).

ومعلوم أن الضلال الذي يعيشه العالم الغربي نابع في الأساس من تحريف اليهود والنصارى لكلمة التوحيد الخالصة (لا إله إلا الله) والزعم أن:

- المخلوق والخالق شيء واحد وشخص واحد.

- وأن الوالد والمولود شيء واحد وشخص واحد.

(١) زكريا بشير إمام، مواجهة العولمة، ط ١ (الخرطوم: منشورات مركز قاسم للمعلومات وخدمات المكتبات، ٢٠٠٠م) ص ١٢٥.

- وأن الأب إله، والابن إله (فمن هو الأعلى؟).
- وأن عزيزاً إله، وأن الله عز وجل إله (فمن هو الأول ومن الآخر؟).

- وأن لله ولداً (فكيف يكون له ولد ولم يتخذ صاحبة، أي زوجة؟).

ورغم هذا الانحراف في عقيدة الغرب الفاسدة، يدعو «فرانسيس فاكوياما» إلى تعميمها على كل العالم، بالترغيب والترهيب، ويتخذ من السلوك الأمريكي نموذجاً خاتماً يعتبره نهاية الرقي الإنساني ونهاية الثقافة والحضارة^(١).

وجدير بالملاحظة أن أفكار «فرانسيس فاكوياما» قوبلت بالنقد حتى عند الغربيين.. ففي كتابه «صدام الحضارات» يقدم «صمويل هانتنتون» مجموعة من الانتقادات لأطروحات «فاكوياما»، منها:
أن الحضارة الغربية رائعة وفريدة ولكنها ليست عالمية؛ وأن المستقبل سوف يشهد أفول الحضارة الغربية وقيام تحالف بين

(١) فرانسيس فوكاياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، ط١ (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣م) ص ٣٥.

الحضارتين الإسلامية والصينية؛ وأن الإسلام سوف يقوى على حساب الغرب إذا امتلك الحداثة والتقانة ولم يتغرب.. ورغم هذا الموقف من «صمويل هانتنغتون» إلا أنه يعود ويحذر من تمكين الإسلام من امتلاك التقانة الغربية لأنه سوف يقوى مادياً ويظل مع ذلك متمسكاً بالتعاليم الإسلامية، وهذا خطر على الغرب^(١) وصدق الله العظيم القائل: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (الحشر: ١٩)، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الزمر: ٦٧)، وكيف تسنى لهم ذلك وهم في غمرتهم يعمهون وفي شهواتهم سادرون، ومعظم أهل الغرب اليوم يعيشون مشكلة في الصحة النفسية، وهي مشكلة أكبر وأعقد، لأنها تحتاج إلى معرفة قوى النفس وملكاها ونوازعها، وهذه متعددة ومختلفة على حد التضارب في هذا الإنسان الذي تكاملت في طبيعته كل التراكيب.

وقد اجتهد الحكماء القدماء من مختلف الأمم، كما اجتهد أهل الفلسفة العلمية على المستوى الفردي والاجتماعي، وكذلك اجتهد

(١) صمويل هانتنغتون، صدام الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، ص ٢٠.

علماء النفس المحدثون، في إرشاد الإنسان إلى الراحة من آلامه النفسية، وتنوعت آراؤهم بحسب ظروف حياة الأمم ونوع حضارتها، فمنهم من حاول معالجته من داخل ذاته، ومنهم من التمس العلاج من خارجها، وكلهم يحاول تجنب المعاناة والشقاء، رغم اختلافهم في السبل والوسائل!

غير أنه في عصور انحلال الحضارة وسيطرة الترف مع أزمات في الفكر والحياة، يظهر من يدعو إلى لذات الجسد ولا يرى غيرها، ومنهم - كما حكى ابن مسكويه في كتابه (تهذيب الأخلاق) - من دعا إلى استعمال الفكر في تنظيم اللذات، فيجعل أشرف ما في الإنسان خادماً لأحط ما فيه.

كل هذه الآراء تهدف إلى توفير الراحة النفسية، ومنها ما لا ضرورة له، ومنها ما قد يكون مقبولاً من الناحية العملية بقدر ما تسمح طبيعة الحياة، لكنها دعوات ليس معها إلزام ولاجزاء من جهة، ولا تحل مشكلة الإنسان من جهة أخرى، ولك أن تشاهد حياة الإنسان الغربي اليوم، فهي لا تجيب عن سؤال لا مفر منه للمفكر الجاد في أثناء معاناته للحياة أن يطرحه وهو: ما معنى

حياة الإنسان ووجوده في الأرض، بكل ملكاته الرفيعة، واستعداداته للهبوط إلى مستوى الحيوان؟ وما هو قانون حياته، وما هو مصيره بعدها؟

وتبقى الإجابة الصحيحة عن هذه التساؤلات في النظرة الدينية الإسلامية.. فهي وحدها التي تشمل معنى الوجود، بمعناه المطلق، وتقدم تصوراً متكافئاً للأشياء.. فالإيمان يقوم على المعرفة والتصديق الجازم، العقلي والنفسي، بوجود صانع لهذا العالم، تام القدرة والحكمة والعناية والرحمة، فالإيمان في الإسلام بالذات ليس نوعاً من الإعلام الخبري بوجود الله وسائر أصول العقيدة، ولا هو مأخوذ من تراث الآباء، بل هو مبني على التفكير في تلك الأصول، وجعلها مسائل للبحث والدليل والبرهان، باستعمال العقل، وخصوصاً التفكير في هذا العالم وفي الإنسان ومكانه فيه، واتخاذ ذلك نقطة البداية للاستدلال^(١) قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: ١٠١)، وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿١٠٢﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

(١) راجع في ذلك الشبكة الدولية للمعلومات، إسلام نت، د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، الصحة البدنية والنفسية في الإسلام، ص ٣.

(الذاريات: ٢٠-٢١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢١﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾
(الجاثية: ٣-٤) وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٨٥).

القرآن الكريم له منهج رشيد في خطاب المدعوين، فالله عز وجل هو خالقهم، وهو أعلم بهم من أنفسهم، فخطب كل صنف منهم بما يناسبه من التأثير والانفعال النفسي وإثارة الوجدان وتحريك العواطف حتى ينتج عن ذلك الاستجابة لما يُدْعَوْنَ إليه؛ لذا يجب أن يتبع الدعاة في نشر الدعوة كل أسلوب يوصلها قلوب الناس، ويحقق الغاية المطلوبة منها، وعليهم أن يطوروا هذه الأساليب حتى لا تتعارض مع دعوتهم ولا تصطدم بقواعد الدين، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥)، فالحكمة في الآية هي الحجج القاطعة الصحيحة، كما ذكر الشوكاني في فتح القدير، أو هي الأدلة اليقينية الموضحة للحق، المزيحة للشبهة، كما صرح بذلك البيضاوي في تفسيره.. وهذا يمثل أساس الإقناع في الخطاب الدعوي.

إن الأمر الذي ينبغي أن يعيه القائمون على أمر الدعوة
لله عز وجل، أن للعمل الإسلامي المعاصر وظيفتين^(١):

١- وظيفة البناء الإيماني والعقدي وإحياء ما أماته الناس من
شرائع الإسلام... وهو في هذا يدور في فلك المنهجية العلمية، يدعو
إلى أصول هذا المنهج، وينشئ رجاله على أساسه.. وقاعدته في هذا
الإطار هم الملتزمون بهذا المنهج.

٢- وظيفة الدفاع عن الإسلام في مواجهة الكفر المطبق في
هذه الأيام، وهو في هذا حركة جهادية عامة، تدور في فلك المذهبية
الإسلامية، بالمعنى العام.. وتتضمن هذه الوظيفة - فيما أرى - معنى
أن يعمل الدعوة على نشر الإسلام في العالم كافة، وتبصير أهل
العقائد الفاسدة، فضلاً عن الدفاع عن الشبهات والهجوم الذي يشن
على الإسلام، وهذا أمر يستدعي استخدام الاستراتيجيات الثلاث
للإقناع، مما يتطلب من الداعية عدّة فكرية، بجوار العدّة الروحية
والأخلاقية، فالدعوة عطاء وإنفاق.. ومن لم يكن عنده
علم ولا ثقافة كيف يعطي غيره؟

(١) صلاح الصلوي، الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، ط٢
(القاهرة: دار الإعلام الدولي، ١٩٩٤م) ص٣١٥.

لقد تبين لكثير من الباحثين في هذا المجال أن الداعية بحاجة إلى مجموعة من الثقافات، من أهمها^(١):

أ- الثقافة الإسلامية.

ب- الثقافة التاريخية .

ج- الثقافة الأدبية واللغوية.

د- الثقافة الإنسانية.

هـ- الثقافة العلمية.

و- الثقافة الواقعية.

وامتلاك الفرد لهذه الثقافات هو - فيما نرى- الذي يجعله يعمل على صياغة طابعه الدعوي بطريقة تقنع الآخرين بطرحه.. فمعرفة وفهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والفقهاء، يمثل جوهر الثقافة الإسلامية؛ أما التاريخ فهو الذاكرة البشرية، وسجل أحداثها، وديوان عبرها، والشاهد العدل لها أو عليها، ويهمنا في ذلك تاريخ الإسلام والأمة الإسلامية خاصة، وتاريخ الإنسانية عامة، وهذا يمثل أسس الثقافة التاريخية.

(١) يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية (الكويت: مطبعة الفيصل، منشورات الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، بدون تاريخ نشر) راجع الصفحات ٩-١٩٣-١٦٥-١٨٠-١٩٠.

وإذا كانت الثقافة الدينية لازمة للداعية بالدرجة الأولى، فإن الثقافة الأدبية واللغوية لازمة كذلك، ولكن الأولى تلزمه لزوم المقاصد والغايات، والثانية تلزمه لزوم الوسائل والأدوات، فاللغة بمفرداتها ونحوها وصرفها لازمة لسلامة اللسان وصحة الأداء، فضلاً عن حسن أثرها في السامع، بل صحة الفهم أيضاً، فالأخطاء اللغوية إن لم تحرف المعنى وتشوه المداد، يمجها الطبع وينفر منها السمع.

أما الثقافة الإنسانية، فتعني مدى إلمام الداعية إماماً مناسباً بأصول ما يعرف الآن باسم (العلوم الإنسانية) مثل علوم: النفس، والاجتماع، والاقتصاد، والفلسفة، والأخلاق.

والثقافة الخامسة المطلوب توفرها عند الداعية هي الثقافة العلمية، والعلم هنا بمفهومه الاصطلاحي الحديث كما شاع عند الغربيين، فهو ما قام على الملاحظة والتجربة ونخضع للقياس والاختبار مثل علوم الفيزياء والكيمياء... إلخ، ولا يقصد هنا أن يتعمق الداعية في دراسة هذه العلوم، وإنما عليه أن يطالع بعض الكتب الميسر فهمها، فهي مهمة لفهم الحياة المعاصرة، كما أن هذه العلوم يتخذها بعضهم للتشكيك في الدين.

ومن أهم ما يلزم الداعية: الثقافة الواقعية المستمدة من واقع الحياة الحاضرة وما يدور به الفلك في دنيا الناس الآن، داخل العالم الإسلامي وخارجه.

والملاحظ أن هذه الثقافات، والتسلح بها، تعطي الداعية معرفة متكاملة باستخدام استراتيجيات الإقناع، سواء كان ذلك في المجال النفسي، أو الثقافي الاجتماعي، أو إنشاء المعاني، ومن هناك يمكن القول: إن أساسيات الخطاب الدعوي واضحة، وسمات الداعية أوضح.. ويبقى لنا الحديث عن وسائل الدعوة، ونخص منها هنا وسائل الاتصال الجماهيري، فهي الأَمْضى سلاحاً والأقوى أثراً في عالم اليوم.

فقد استخدم أعداء الإسلام هذه الوسائل لضرب الأمة الإسلامية في عقر دارها، ولا ينكر أحد الآثار السلبية لمحطات التلفزة والإذاعات الدولية المتمثلة في جوانب الهيمنة الاتصالية، والاستلاب الثقافي، والغزو الفكري، والاستخدام في إطار الصراع وتأجيج نيران الفتن داخل الدول الإسلامية؛ وهذه الآثار السلبية أثرت في منظومة القيم، لأنها سمحت فقط بانتشار قيم معينة تؤثر على العالم بطريقة واحدة، وأحدثت تغييرات اجتماعية عميقة يمكن ملاحظتها في أنماط السلوك السائدة في بلدان العالم الإسلامي، التي تمتلك فضائيات لم تكتمل

رسالتها، لا من حيث التأثير ولا من حيث الانتشار، فهي ضعيفة المحتوى والشكل؛ والأشد خطراً هو أن هذه القنوات تفرد حيزاً كبيراً في خريطتها البراجميه للمنتجات الإعلامية الغربية، وبذا يكون الجمهور عرضة لتأثيرين كليهما آت من الغرب، أحدهما تقوم به الوسائل الغربية والآخر تقوم به وسائلنا، وهذه قمة التبعية.

إن الصحوة الإسلامية لا تصنعها التمنيات وإنما ينهض بها فرسان الثقافة الإسلامية وأصحاب الضمائر الحية والرؤية البعيدة، وأصحاب العزائم والإرادات الذين يعملون وينتجون للفكر الإسلامي الرفيع المبتعدين عن التقليد الأعمى أو الوقوع في شباك التبعية، بالأرض والفضاء، ورحم الله تعالى أصحاب الرسول ﷺ الذين عملوا على نشر الدعوة في أرجاء العالم كافة رغم مشقة الأسفار وحواجز اللغة وبدائية الوسائل، منطلقين في كل ذلك من حديث النبي ﷺ: « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً »^(١)، وقوله ﷺ: « نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبُّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ »^(٢).

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه الترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وبما أننا نتحدث عن وسائل نشر الدعوة، لماذا لا تكون للأمة الإسلامية قناة تلفزيونية فضائية دولية تبث برامجها بعدد من اللغات إلى أنحاء العالم كافة، يركز خطاها الإعلامي على الحججة والإقناع المستمد من القرآن الكريم ونهجه والسنة النبوية المطهرة وفيضها؟ على أن تقوم هذه القناة بإدارة حوار هادف خاصة مع الغرب، الذي يُعتبر الحوار معه له دواع ومبررات، منها:

- أنه ضرورة شرعية لتبليغ الرسالة .. وحمل أمانة الدعوة، فالأصل هو التفاعل التبليغي وعدم جواز السكون .. قال تعالى:

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

- وأنه عملية ضرورية يفرضها الواقع العالمي القائم على الاتصال والتفاعل والاعتماد المشترك بين الأمم والشعوب والجماعات، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣).

- وأنه ضرورة لبناء مستقبل الأمة، ذلك أن فهم مقاصد الدين وتجسيد روح الدين الحقيقي يدعو الأمة الإسلامية إلى الانفتاح على

قواعد تأخذ في الحسبان خلاصة التجارب الإنسانية والسعي لتأصيلها..
قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

ويتناول هذا الحوار العلاقة النظرية والعلاقات الدولية، إضافة إلى
العلاقة الواقعية بصورها المختلفة ومراحلها ونماذجها عبر عدة محاور،
أولها الخطاب الثقافي الحضاري، ثم الخطاب السياسي، فالخطاب
الاقتصادي فالخطاب الاجتماعي وأخيراً الخطاب الفني الرياضي^(١).

أما الجانب الآخر الذي ينبغي أن تقوم به هذه القناة، فهو تحديد
هوية الأمة الحضارية وفقاً للنموذج الإسلامي.. وحتى تقوم القناة
بذلك، ينبغي الوفاء بثلاثة متطلبات هي:-

أولاً: ينبغي أن تكون النخبة السياسية والاقتصادية في الأمة
بصفة عامة مؤيدة لهذا التحرك ومتحمسة له.

ثانياً: ينبغي أن يكون الرأي العام مستعداً للإذعان لإعادة
التحديد، وأرى أن الأمة الإسلامية الآن على أتم الاستعداد لذلك.

ثالثاً: ينبغي أن تكون الجماعات المسيطرة في الحضارة المتلقية

(١) حسن الترابي، في كتاب صمويل هانتغتون، صدام الحضارات، ص ٦٥.

راغبة في تبني التحول، وهذا الطلب يتم عبر الحوار مع الغرب الذي أشرنا إليه، ولعل الأجواء مواتية خاصة ضمن مصطلح «العولمة» التي يظننا بعضها ريجاً عاتية تندفع مرة واحدة لتكتسح كل ما يقف بوجهها ثم ينبت بعدها زرع جديد وعالم جديد مختلف كلياً عما سبق، وبالطبع هذا غير ممكن، فقد يكون فيزيائياً وعلى الطبيعة ممكناً، ولكن على المستوى الإنساني مستحيل.

إن التحولات الاجتماعية والثقافية تأخذ فترات طويلة، وتتم على مراحل متعددة، وتأخذ أحياناً شكلاً حلزونياً وليس اتجاهاً مستقيماً إلى الأمام، وهكذا بالنسبة «للعولمة» فالتغيير فيها يتم على مراحل، مما يوجد نوعاً من التداخل الواضح في عالم الاقتصاد والسياسة والثقافة، ودون أن يأخذ بعين الاعتبار الانتماء لدولة ما أو الحدود الفاصلة بين الدول، وهنا لا غرابة أن تترأى القضية وكأنها محاولة أمريكية لصياغة العالم بما يتلاءم معها سياسة وتوجهات... فلماذا لا يكون للأمة الإسلامية دور بارز في هذه العملية؟

وإذا أردنا أن ننظر في مراحل هذه العملية الهائلة لوجدنا أن الإعلام يدخل في كل مرحلة من مراحلها، فهو المبشر لها والمروج

لأفكارها، وهو الذي يقوم بدور النازع للأفكار السابقة وزرع الأفكار الجديدة، أي باختصار شديد هو الحامل لمضامين «العولمة» وهي تنتقل من خطوة إلى أخرى، إلا إن وسائل الإعلام العالمية مسيرة من قطب واحد لا تستطيع أن تخرج من نطاقه، وليس لها خيار للتخلص من أسره، فلماذا لا تكون الأمة الإسلامية مبادرة حتى تصبح القطب الثاني الذي يواجه القطب الأول، ولماذا ينتظر العالم الإسلامي حتى يترك القطب الأول فرصة زرع الأفكار الجديدة في أوساط شعوبه؟

لماذا لا نزرع أفكار الإسلام وقيمه ومثله وأخلاقياته في أوساط الشعوب الأخرى؟

غير أننا مازلنا ننتظر، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال المد الإعلامية المتصل من الغرب تجاه الديار الإسلامية، فشبكات التلفزيون الأمريكية (CNN) على سبيل المثال، نظام أمريكي متكامل نصّب نفسه قيماً على صياغة الأحداث في العالم، فلا يستطيع جهاز إعلامي في أية دولة أو ليس في مقدور متابع للقضايا العالمية أن يتحرك دون ترتيب CNN للأحداث، من الصومال إلى بورندي إلى البلقان مروراً بالشيشان وأفغانستان،

والمؤسف أن قنواتنا، في الأمة العربية والإسلامية، تقع في ذات الشراك، فتعمق بذلك تبعيتها.

إن التحدي الثقافي لعملية «العولمة» هو المواجهة المتصلة من الآن فصاعداً لنماذج حضارية اجتماعية ثقافية بعينها، تلك النماذج الحضارية ذات التجربة التاريخية، التي أسهمت في بناء العالم، وأول هذه النماذج ذات الجذور الحضارية النموذج الإسلامي، وذلك ليس باعتبار أن النموذج الإسلامي تأسس على الدين وحسب وإنما لأن النموذج الحضاري الإسلامي هو نموذج داع.. فالحضارة الإسلامية داعية إلى إعمار الإنسان والعالم، فاختصاص حضارة الإسلام بالرسالة الخاتمة يستوجب أول ما يستوجب حضور المسلمين لله في هذا العالم.

هذا الحضور هو تجربة قد تفتقر إليها كثير من المجتمعات البشرية التي قد تحقق مرحلة الوجود، فأنماط القيم والأفكار والسلوكيات متساندة مع المخترعات والأدوات والمؤسسات والقنوات، وأنماط التعبير الإبداعي تعني أن مجتمعاً ما قد حقق قدراً من العمران لعمارة الأرض وبناء نموذج بشري متصرف فيها؛ فالصين اليوم قد تنزعج من مقومات «العولمة» وتباشيرها بوصف أن الصين أمة حضارة قديمة، لكن ما أن يتحقق للصين الدخول في مركز «العولمة» الاقتصادية حتى تترك هذا الانزعاج.

والفسارق أن الحضارة الإسلامية بوصفها حضارة ذات تكليف إلهي فهي داعية إلى نموذج إنساني ثقافي، نموذج للاقتداء به، نمط من العلاقات بين البشر وخالقهم ومع الكون، ومن هذا يتجدد هذا التكليف في إنجاز «إنسان معيار» قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ ﴿٢٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ ﴿٢٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿النور: ٣٨﴾، في حين أن الحضارة الغربية لا تحدد «إنساناً معياراً» بل نجد أن موقع إنجازاتها التطبيقية المتلاحقة في سرعة مذهلة لا يتعدى الإنسان العادي في غمرة فرديته البسيطة وإلحاحه المستمر لإشباع حاجاته الغريزية المادية، وتوفير وسائل تسليته، والترويح عنه، وصولاً إلى حد كف نظره عن قضايا وجوده، غاية ومصيراً.

من كل ما تقدم، لا بد لنا من المشاركة في عوامة العالم؛ لا بد من إحياء واسترجاع دورنا الحضاري الذي انقطع منذ قرون، والأمة الإسلامية مكلفة تكليفاً لا نكوص عنه.. وهذه المسؤولية الحضارية

المستعادة، لا تتحقق إلا من خلال فهمنا لجوهر حضارتنا ومسؤولية هذه الحضارة تجاه البشرية جمعاء^(١).

ونرى أن القناة الفضائية الإسلامية، متعددة اللغات، يمكن أن تقوم بدور فاعل في هذا الجانب إذا ما خلصت النوايا وتكاثفت الجهود، مع ملاحظة أن الإعلام الدعوي متميز بأهدافه ومتطلباته وشرائعه والقوانين التي تحكم عمله، إنه ليس مجرد برامج دينية تنشر في خارطة البرامج، ولكنه جهود مخططة تستهدف الإبلاغ بالحقيقة وتنقية الرسالة الإعلامية من كل الشوائب والملوثات لتكون ذا منبت حسن وأهداف نبيلة؛ إنه إعلام الكلمة الطيبة الذي يسهم في بناء الإنسان وفق النهج الإسلامي ويخلصه من العبودية لغير الله في البرامج والمعالجات كافة، بدءاً من فقرات الترفيه وانتهاءً بإعلام الأزمات والشدائد^(٢)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣) على أن يتم كل ذلك وفقاً للاستراتيجيات الثلاث للإقناع.

(١) أحمد عبد العال، العولمة... ثقافياً، صحيفة الصحافي الدولي، الخرطوم، السنة الثانية، العدد ٥١٦، ٩ يوليو ٢٠٠١م، ص ٨.

(٢) محي الدين عبد الحليم، إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات، سلسلة كتاب الأمة رقم ٦٤ (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٨م) ص ٥٩.

إن الإقناع في أدبيات الاتصال والإعلام، يقوم على بناء الرسالة التي تبث أو تنشر على الجمهور وأسلوب تقديمها، فالرسالة وخصائصها تظل هي المتغير الأساس والحاسم في تحقيق هدف الإقناع، الذي يتم من خلال التخطيط السليم والناجح للرسالة الإعلامية وبنائها عبر مداخل تستهدف البناء الوجداني والبناء المعرفي.

والقرآن الكريم كرسالة إعلامية إقناعية راعي كل هذه الجوانب، فقد استخدم نفس الحروف والكلمات التي يستخدمها العرب، وفي هذا إشارة إلى ضرورة استخدام الدعاة وأهل الإعلام اللغة السائدة في المجتمع من غير مبالغة أو تكلف حتى تناسب رسائلهم إلى مستقبلهم من غير عنت أو مشقة، فتحقق بذلك أهدافها ومراميها.

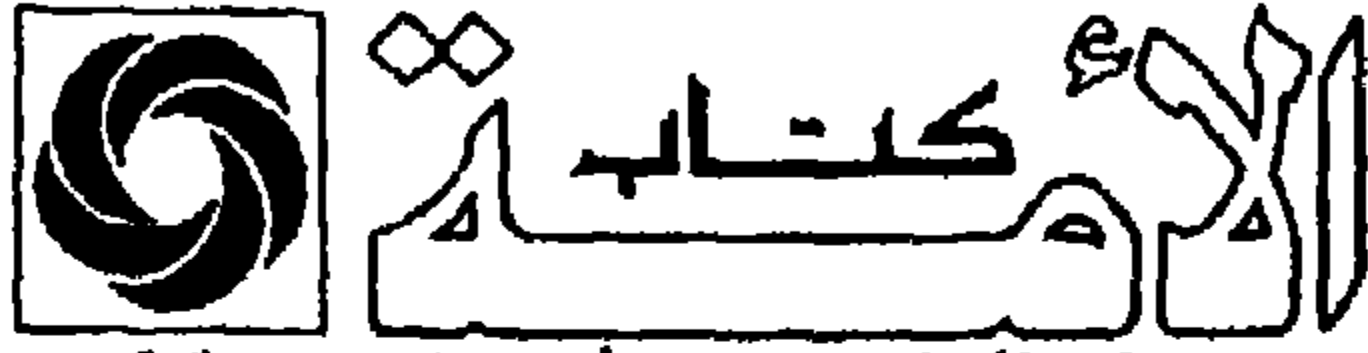
ومن «التكتيكات» الإقناعية التي استخدمها القرآن الكريم: جذب الانتباه للمستقبل، والقابلية للتصديق، والتكرار، والتشخيص، والاعتماد على المصادر الموثوقة، والتجاهل المتعمد لبعض المواقف، إضافة إلى الوضوح.. وكلها «تكتيكات» نحن بحاجة لها في عالم

اليوم، الذي أخفق فيه المسلمون في طرح وجهات نظرهم وتعريف الآخرين بمضارهم وتاريخهم، الأمر الذي قاد إلى رسم صورة ذهنية سلبية عنهم، خاصة وسط سكان العالم الغربي.

فالمسلمون الآن بحاجة إلى إحسان التعامل مع وسائل الإعلام، فهناك حاجة ملحة لوجود إسلامي فاعل عبر الوسائل الإعلامية، يقدم المسلمون من خلاله المقالات والكتب والأبحاث والمعارض والندوات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية على مستوى يتفاعل مع عقول وأقلام الفكر الغربي، وهذا وحده سنكون شهداء على الناس كما كان الرسول ﷺ شهيداً علينا... وإلا نكون قد ضيعنا الأمانة- قال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مَا اجْتَبَاكُمْ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَانَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (الحج: ٧٨).

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	* تقديم: الأستاذ عمر عبيد حسنه
٢٩	* المقدمة:
٣٢	* الفصل الأول: استراتيجيات الإقناع
٣٧	- الاستراتيجية الدينامية النفسية
٤٠	- الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية
٤٣	- استراتيجية إنشاء المعاني
٤٧	* الفصل الثاني: استمالات وأساليب الإقناع في الرسالة الاتصالية..
٥٣	- الاستمالات المستخدمة في الرسالة الإقناعية
٦٤	- أساليب الإقناع المستخدمة في الرسالة الاتصالية
٧١	* الفصل الثالث: القرآن الكريم وأساليب الإقناع
٧٨	- القرآن والاستراتيجية الدينامية النفسية للإقناع
٨٤	- القرآن والاستراتيجية الثقافية الاجتماعية للإقناع
٩٦	- القرآن الكريم واستراتيجية إنشاء المعاني
١٠٣	* الفصل الرابع: استراتيجيات الإقناع ونشر الدعوة في العصر الحديث
١٢٥	* الفهرس



بمساعدة مؤسسية تصفح كل شهرين من رزدة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر

هاتف: ٤٤٤٧٣٠٠ - فاكس: ٤٤٤٧٠٢٢ - ص.ب: ٨٩٣ - الدوحة

صدر منها :

- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية
 - الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف
 - العسكرية العربية الإسلامية
 - حول إعادة تشكيل العقل المسلم
 - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري
 - المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري
 - الحرمان والتخلف في ديار المسلمين
 - نظرات في مسيرة العمل الإسلامي
 - أدب الاخوتلاف في الإسلام
 - التراث والمعاصرة
 - مشكلات الشباب: الحلول المطروحة والحل الإسلامي
 - المسلمون في السنغال.. معالم الحاضر وآفاق المستقبل
 - البسوك الإسلامية
 - مدخل إلى الأدب الإسلامي
- الشيخ محمد الغزالي
الدكتور يوسف القرضاوي
اللواء الركن محمود شيت خطاب
الدكتور عماد الدين خليل
الدكتور محمود حمدي زقزوق
الدكتور محسن عبد الحميد
(+ ط إنجليزية) - د. نيل صبحي الطويل
الأستاذ عمر عبيد حسنة
الدكتور طه جابر فياض العلواني
الدكتور أكرم ضياء العمري
الدكتور عباس محجوب
الأستاذ عبد القادر محمد سيلا
الدكتور جمال الدين عطية
الدكتور نجيب الكيلاني

- المخدرات من القلق إلى الاستعباد
الدكتور محمد محمود الهواري
- الفكر المنهجي عند المحدثين
الدكتور همام عبد الرحيم سعيد
- فقه الدعوة: ملامح وآفاق.. في حوار
("الجزء ١، ٢" + طبعة خاصة بمصر) - الأستاذ عمر عبيد حسنة
- قضية التحلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر
الدكتور زغللول راغب السنجار
- دراسة في البناء الحضاري
(+ طبعتا مصر والمغرب) - الدكتور محمود محمد سفر
- في فقه التدين فهماً وتنزيلاً
("الجزء ١، ٢" + طبعتا مصر والمغرب) - الدكتور عبد المجيد النجار
- في الاقتصاد الإسلامي
(+ طبعتا مصر والمغرب) - الدكتور رفعت السيد العوضي
- النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية
(+ طبعتا مصر والمغرب) - الدكتور محمد أحمد مفتي والدكتور سامي صالح الوكيل
- أزمنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق
(+ طبعتا مصر والمغرب) - الدكتور أحمد محمد كنعان
- المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي
(+ طبعتا مصر والمغرب) - الدكتور عبد العظيم محمود اللبيب
- مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي
(+ طبعتا مصر والمغرب) - نخبة من المفكرين والكتاب
- مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح
(+ طبعتا مصر والمغرب) - الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

● إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها

(+ طبعة بمصر والقرب) - الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

● الصحة الإسلامية في الأندلس

(+ طبعة خاصة بمصر) - الدكتور علي للتصير الكستاني

● اليهود والتحالف مع الأقوياء

(+ طبعة خاصة بمصر) - الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي

● الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع

(+ طبعة خاصة بمصر) - الأستاذ منصور زويد للطيري

● السنن التعليمية عند المحدثين

(+ طبعة خاصة بمصر) - الأستاذ المكسي أقالينه

● العقل العربي وإعادة التشكيل

(+ طبعة خاصة بمصر) - الدكتور عبد الرحمن الطيري

● إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق

(+ طبعة خاصة بمصر) - الدكتور يوسف إبراهيم يوسف

● أسباب ورود الحديث

(+ طبعة خاصة بمصر) - الدكتور محمد رأفت سعيد

● فني الفوز الفكري

(+ طبعة خاصة بمصر) - الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

● قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي

("الجزء ١، ٢" + طبعة خاصة بمصر) - الدكتور أكرم ضياء العمري

● فقهه تفسير المنكر

(+ طبعة خاصة بمصر) - الدكتور محمد توفيق محمد سعد

● فسي شرف العسريية

(+ طبعتا مصر ولغرب) - الدكتور إبراهيم السامرائي

● المنهج النبوي والتفسير الحضاري

(+ طبعتا مصر والمغرب) - الأستاذ برغوث عبد العزيز بن مبارك

● الإسلام وصراع الحضارات

(+ طبعتا مصر ولغرب) - الدكتور أحمد القديدي

● رؤية إسلامية في قضايا معاصرة

(+ طبعتا مصر ولغرب) - الدكتور عماد الدين خليل

● المسقبل للإسلام

(+ طبعتا مصر ولغرب) - الدكتور أحمد علي الإمام

● التوحيد والوساطة في التربية الدعوية

("الجزء ١، ٢" + طبعتا مصر ولغرب) - الأستاذ فريد الأنصاري

● الإسلام وهموم الناس

(+ طبعتا مصر ولغرب) - الأستاذ أحمد عبادي

● التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون

(+ طبعتا مصر ولغرب) - الدكتور عبد الحلیم عويس

● عمرو بن العاص.. القائد المسلم.. والسفير الأمين

("الجزء ١، ٢" + طبعتا مصر ولغرب) - اللواء الركن محمود شيت خطاب

● وثيقة مؤتمر السكان والتنمية.. رؤية شرعية

(+ طبعنا بمصر وللغرب) - الدكتور الحسيني سليمان جواد

● في السيرة النبوية.. قراءة لجوانب الحذر والحماية

(+ طبعنا بمصر وللغرب) - الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد

● أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية

(+ طبعنا بمصر وللغرب) - الدكتور أحمد بن عبد العزيز الخليسي

● من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق

(+ طبعنا بمصر وللغرب) - الأستاذ عبد الله الزبير عبد الرحمن

● عبد الحميد بن باديس "رحمه الله" وجهوده التربوية

(+ طبعنا بمصر وللغرب) - الأستاذ مصطفى محمد حميدانو

● تخطيط وعمارة المدن الإسلامية

(+ طبعنا بمصر وللغرب) - الأستاذ خالد مصطفى عزب

● نحو مشروع مجلة رائدة للأطفال

(+ طبعنا بمصر وللغرب) - الدكتور مالك إبراهيم الأحمد

● المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب

(+ طبعنا بمصر وللغرب) - الدكتور سالم أحمد محل

● من فقهه الأقليات المسلمة

(+ طبعنا بمصر وللغرب) - الأستاذ خالد عبد القادر

● الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي

(+ طبعنا بمصر وللغرب) - الدكتور عبد الحميد السوسوة الشرفي

● السنن التعليمية الوافدة في أفريقيا.. قراء في البديل الحضاري

(+ طبعنا بمصر وللغرب) - الدكتور قطب مصطفى سنانو

● إشكاليات العمل الإعلامي.. بين الثوابت والمعطيات العصرية

(+ طبعنا بمصر وللغرب) - الدكتور محي الدين عبد الحلليم

- الاجتهاد المقاصدي.. حجيته.. ضوابطه.. مجالاته
("الجزء ١، ٢" + طبعتا مصر وللغرب) - الدكتور نور الدين مختار الخادمي
- القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر
(+ طبعتا مصر وللغرب) - الأستاذ عبد الحميد بن مسعود
- أضواء على مشكلة الغذاء في العالم العربي الإسلامي
(+ طبعتا مصر وللغرب) - الأستاذ عبد القادر الطرابلسي
- نحو تقويم جديد للكتابة العربية
(+ طبعتا مصر وللغرب) - الأستاذ الدكتور طالب عبد الرحمن
- دور المرأة في رواية الحديث في القرون الثلاثة الأولى
(+ طبعتا مصر وللغرب) - الأستاذة آمال قرداش بنت الحسين
- الإعلان من منظور إسلامي
(+ طبعتا مصر وللغرب) - الدكتور أحمد عيساوي
- تكوين الملكية الفقهية
(+ طبعتا مصر وللغرب) - الأستاذ الدكتور محمد عثمان شبيب
- الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري.. أنموذج مالك بن نبي
(+ طبعتا مصر وللغرب) - الأستاذ بلدران بن مسعود بن الحسن
- الترويح وعوامل الانحراف.. رؤية شرعية
(+ طبعتا مصر وللغرب) - الأستاذ عبد الله بن ناصر السدحان
- فقه الواقع.. أصول و ضوابط
(+ طبعتا مصر وللغرب) - الأستاذ أحمد بو عود
- دعوة الجماهير.. مكونات الخطاب ووسائل التسديد
(+ طبعتا مصر وللغرب) - الدكتور عبد الله الزبير عبد الرحمن
- استخدام الرسول ﷺ الوسائل التعليمية
(+ طبعتا مصر وللغرب) - الأستاذ حسن بن علي البشاري
- المصطلح خيار لغوي وسمعة حضارية
(+ طبعتا مصر وللغرب) - الأستاذ سعيد شبار

- **عالم إسلامي بلا فقر**
(+ طبعتا مصر وللفغرب) - الدكتور رفعت السيد العوضي
- **نحن والحضارة والشهد**
("الجزء ١،٢" + طبعتا مصر وللفغرب) - الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي
- **القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي**
(+ طبعتا مصر وللفغرب) - الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني
- **التفكك الأسري .. الأسباب والحلول المقترحة**
(+ طبعتا مصر وللفغرب) - مجموعة من الباحثين
- **الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام**
(+ طبعتا مصر وللفغرب) - الأستاذ نور الدين بليبل
- **التفكك الأسري .. دعوة للمراجعة**
(+ طبعتا مصر وللفغرب) - مجموعة من الباحثين
- **ظاهرة العولمة .. رؤية نقدية**
(+ طبعتا مصر وللفغرب) - الدكتور بركات محمد مراد
- **حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة**
(+ طبعتا مصر وللفغرب) - مجموعة من الباحثين
- **حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون**
(+ طبعتا مصر وللفغرب) - د. منير حميد البياتي
- **السبب الحضاري لهجرة الكفءات**
(+ طبعتا مصر وللفغرب) - مجموعة من الباحثين
- **معالم تجديد المنهج الفقهي .. أنموذج الشوكاني**
(+ طبعتا مصر وللفغرب) - الأستاذة حليلة بو كروشة
- **الطفولة .. ومسؤولية بناء المسن تقبل**
(+ طبعتا مصر وللفغرب) - أ.د. نبيل سليم علي
- **في الاجتهاد التنزيهية**
(+ طبعتا مصر وللفغرب) - د. بشير بن مولود جحيش
- **لا إنكار في مسائل الخلاف**
(+ طبعتا مصر وللفغرب) - د. عبد السلام مقبل المجيدي

وكلاء التوزيع

عنوانه	رقم الهاتف	اسم الوكيل	البلد
ص.ب: ٨١٥٠ - الدوحة فاكس: ٤٤٣٦٨٠٠ - بهوار سوق الجبر	٤٦٢٢١٨٢	دار الثقافة	قطر
ص.ب: ٩ الرياض ١١٤١١ فاكس: ٢١٠٧٠٦٤٢	٤٤١٣٤٧١	دار الثقافة «قسم توزيع الكتاب»	السعودية
ص.ب: ٢٨٧ - البحرين فاكس: ٢١٠٧٦٦	٤١٦٢٥٢٧	مكتبة السوراق	البحرين
ص.ب: ٢٨٧ - البحرين فاكس: ٢١٠٧٦٦	٢٣١٠٦٢ ٢١٠٧٦٨ (المنامة) ٦٨١٢٤٣ (مدينة عيسى)	مكتبة الآداب	البحرين
ص.ب: ٤٣٠٩٩ حولي شارع المنى رمز بريدي: ٢٣٠٤٥ فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤	٢٦١٥٠٤٥	مكتبة دار المنار الإسلامية	الكويت
ص.ب: ١٩٦٠ روي ١١٢ فاكس: ٧٨٣٥٦٨	٧٨٣٥٦٧٧	مكتبة علوم القرآن	سلطنة عمان
ص.ب: ٩٦٠٦٥٤ - عمان فاكس: ٥٦٩٨٩٢٩	٥٦٠١٠٩٩	مؤسسة الفريد للنشر والتوزيع	الأردن
ص.ب: ٥٤٤ - صنعاء فاكس: ٢١٣١٦٣	٧٨٠٤٠-٧١٣٦٣ ٢٧٠٣٨-٧٥٨١١	مجموعة الجيل الجديد	اليمن
ص.ب: ٣٥٨ - الخرطوم فاكس: ٧٨٣٩٤٦	٧٨٠٥٨٨	دار التوزيع	السودان
ص.ب: ٧ - القاهرة فاكس: ٥٧٩٠٩٣٠	٥٧٨٢٥٠٠ ٥٧٨٢٦٠٠	مؤسسة توزيع الأخبار	مصر
لهج موناستير رقم ١٦ - الرباط	٧٣٣٣٢٩	مكتبة منار العرفان للنشر والتوزيع	المغرب
Muslim welfare House, 233, Seven Sisters Road, London N4 2DA. Fax: (071) 2812687 Registered Charity No:271680	(10) 272-5170/ 263-3071	دار الرعاية الإسلامية	إنكلترا

ثمن النسخة

الأردن	(٥٠٠) فلس
الإمارات	(٥) دراهم
البحرين	(٥٠٠) فلس
تونس	دينار واحد
السعودية	(٥) ريالات
السودان	(٤٠) ديناراً
عمان	(٥٠٠) بيسة
قطر	(٥) ريالات
الكويت	(٥٠٠) فلس
مصر	(٣) جنيهاً
المغرب	(١٠) دراهم
اليمن	(٤٠) ريالاً
* الأمريكتان وأوروبا وأستراليا وباقى دول آسيا وأفريقيا: دولار أمريكي ونصف، أو ما يعادله.	

مركز البحوث والدراسات

هاتف: ٤٤٤٧٣٠٠

فاكس: ٤٤٤٧٠٢٢

برقياً: الأمة - الدوحة

ص.ب: ٨٩٣ - الدوحة - قطر

موقعنا على الإنترنت:

www.islam.gov.qa

البريد الإلكتروني: E.Mail

M_Dirasat@Islam.gov.qa

رقم الإيداع

٢٠٠٣/١٥١٤٠

الترقيم الدولي

977 - 08 - 1124 - 6

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
مركز البحوث والدراسات
أمانة الجائزة

جائزة الشيخ

عَلِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّانِي

للعلوم الشرعية والفكر الإسلامي

إسهاماً في تشجيع البحث العلمي، والسعي إلى تكوين جيل من العلماء في ميادين العلوم الشرعية المتعددة، تنظم أمانة جائزة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني «رحمه الله» العالمية، مسابقة بحثية في مجال الدراسات الإسلامية، جائزتها (١٠٠) ألف ريال قطري.
شروط الجائزة:

- ١- يُشترط في البحوث المقدمة، أن تكون قد أعدت خصيصاً للجائزة، وألا تكون جزءاً من عمل منشور، أو إنتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية.
- ٢- أن تتوفر في البحوث المقدمة خصائص البحث العلمي، من حيث الإطار النظري للبحث، و المنهج العلمي ، والإحاطة والشمولية، والجدة والابتكار.
- ٤- يحق للجنة التحكيم التوصية بمنح الجائزة مشتركة بين اثنين أو أكثر من الباحثين، كما يجوز اشتراك باحثين أو أكثر في كتابة بحوث الجائزة.
- ٥- يحق للجهة المشرفة سحب قيمة الجائزة، إذا اكتشفت أن البحث

الفائز قد نشر سابقاً، أو قدم إلى جهة أخرى، لغرض آخر، أو مستلاً من رسالة علمية، كما يحق لها حجب الجائزة في حالة عدم ارتقاء البحوث المقدمة للمستوى المطلوب.

٦- لا تمنح الجائزة لمشارك واحد أكثر من مرة خلال ثلاث سنوات.

٧- يقدم الباحث ملخصاً لبحثه في حدود خمس صفحات باللغة العربية، والإنجليزية إن أمكن.

٨- يُقدم البحث باللغة العربية من ثلاث نسخ، مكتوباً على الحاسوب، على ألا يقل عدد صفحاته عن (٢٠٠) صفحة، ولا يزيد على (٢٥٠) صفحة (٢٠×٢٨ سطرًا × ١٠ كلمات)، حوالي (٤٠٠٠٠) كلمة.

٩- يُرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه، وثبتاً بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة إلى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة، وصورة من القرص الذي طبع منه البحث.

١٠- تُعرض البحوث على لجنة من المحكمين.

وقد أعلن عن موضوع " دور التراث في بناء الحاضر

وإبصار المستقبل " كعنوان لجائزة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، وفق

المحاور العامة الآتية:

- أهمية التراث في تشكيل شخصية الأمة، وحمايتها، وإغناء حاضرها،

ورؤية مستقبلها.

- كيفية التعامل مع التراث: تحقيقاً للنص، وإعمالاً له.. ومعايير

القبول والرد.

- الآخر والتراث: التراث- مدخل الاستشراق، وأحد معابر الغزو الثقافي-، التبويض ومحاولات القراءة المذهبية(أدلة التراث).
- انفتاح التراث على الآخر، (إنسانية التراث الإسلامي) وقدرة المخزون التراثي على المساهمة في بناء المشترك الإنساني في حقبة العولمة.

آخر موعد لاستلام البحوث نهاية شهر يوليو ٢٠٠٤ م.

العنوان البريدي:

* ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي:

مركز البحوث والدراسات

أمانة الجائزة

ص.ب: ٨٩٣ - الدوحة - قطر

للاستفسار يرجى الاتصال على:

هاتف: ٤٣٢٤٥٨٤ - ٤٤٤٧٣٠٠ - ٤٤٢٠٠٦٦

فاكس: ٠٠٩٧٤ / ٤٤٢٠٠٩٩ - ٤٤٤٧٠٢٢

البريد الإلكتروني: E_Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa

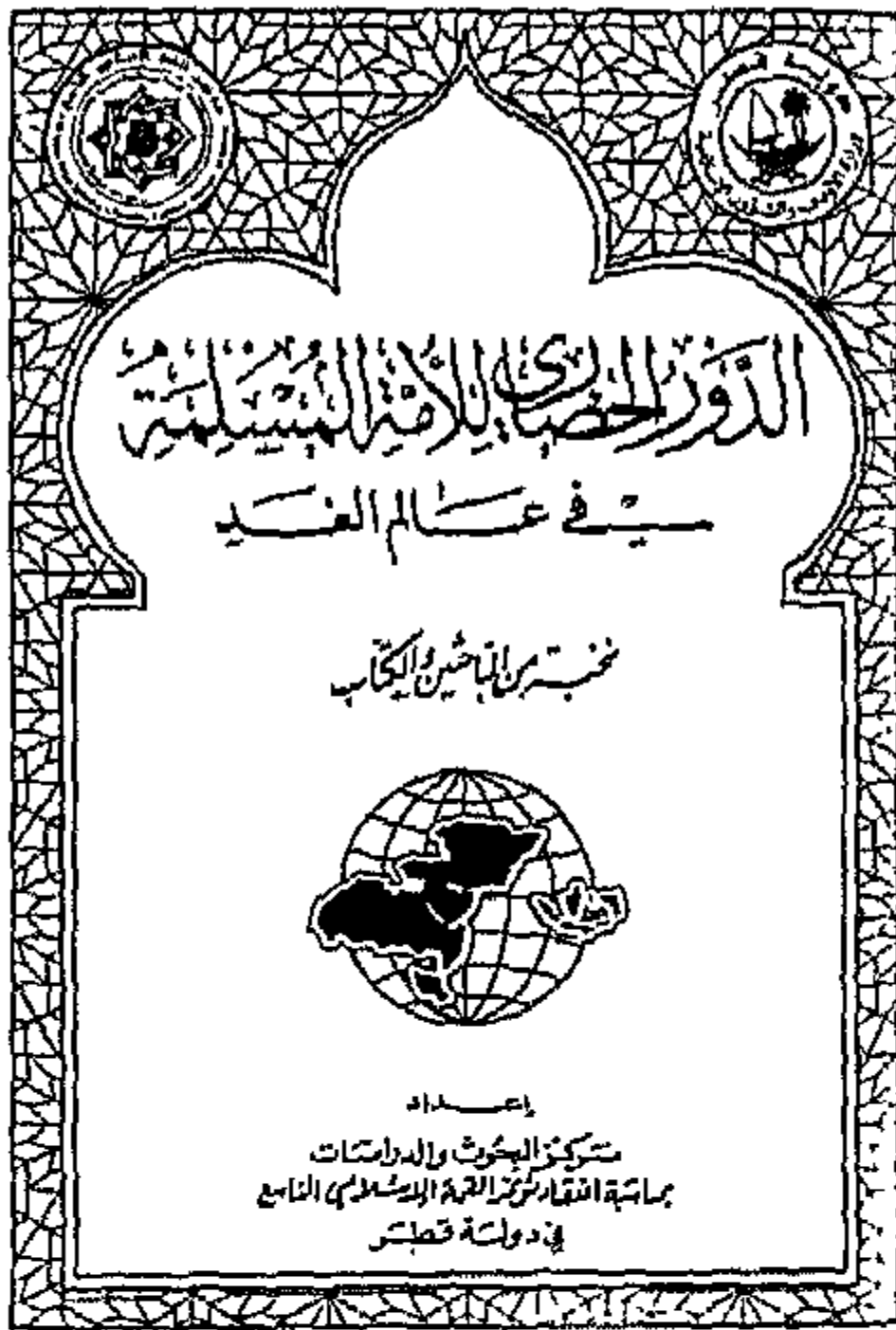
معتصم بابكر مصطفى

- * من مواليد السودان.
- * حصل على درجة الدكتوراه في الإعلام سنة ١٩٩٩م.
- * اشتغل بالتدريس في كلية الإعلام، جامعة أم درمان الإسلامية (٩٠-٢٠٠١م).
- * يعمل حالياً مديراً للمكتب الوزاري التنفيذي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (السودان).
- * مدير مركز الرؤية لدراسات الرأي العام، الخرطوم.
- * له العديد من الدراسات والكتب، منها:
 - الإذاعات الدولية وتشكيل الرأي العام.
 - الاتصال الدولي.
 - مجموعة من أوراق العمل حول الإعلام، قدمت للهيئة الوطنية للنسك، السودان.

الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد

صدر كتاب : (الدور الحضاري للأمة المسلمة

في عالم الغد)، باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، عن مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في مناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي التاسع في رحاب دولة قطر (تشرين أول/نوفمبر ٢٠٠٠م)،



مساهمة في إحياء عملية الاجتهاد والتجديد وإعادة بناء مشروع النهوض، لتستأنف الأمة المسلمة دورها في الشهود الحضاري وإلحاق الرحمة بالعالمين، وما يتطلبه ذلك من معرفة الذات، وما تمتلكه الأمة من الإمكان الحضاري والتخطيط لحسن

استثماره، ومعرفة (الأخر)، المعرفة التي تمكن من كيفية التعامل معه ودعوته إلى كلمة سواء، وتحقيق المشترك الإنساني.

ويأتي الكتاب - الذي تقع نسخته العربية في (٧٥٢) صفحة من الحجم المتوسط (١٧×٢٤سم) - في إطار محاولة لتقديم رؤية مستقبلية، لما يمكن الاصطلاح على تسميتهم (أهل الاجتهاد والفكر والرأي)، بحيث تشكل هذه الرؤية أحد أدلة العمل أمام أصحاب القرار للوصول إلى تحقيق الانسجام والتكامل والتصالح بين أهل الرأي وأصحاب القرار.

وكان الهدف الأساس من هذا المشروع الثقافي الممتد، التعرف على الإمكان الحضاري الذي تتوفر عليه الأمة، والرؤية الاستراتيجية لتفعيله، وكيفية استرداد الدور الغائب للأمة لتستأنف من جديد رسالتها في الشهود ومعالجة أزمة الحضارة، وتحقيق الغاية التي من أجلها جاءت الرسالة .

ولقد كان الحرص أن تأتي المساهمات من مواقع ثقافية وجغرافية ومدارس فكرية ومذهبية متنوعة، ممثلة، إلى حد كبير ، لجميع بلاد العالم الإسلامي الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم، إضافة إلى مساهمات ممن يعيشون ضمن منظومة الثقافة الغربية المعاصرة ومؤسساتها.

وقد تركز الكتاب حول أربعة محاور أساس :

* أهم مقومات وشروط النهوض التي تمتلكها الأمة ، في إطار التعرف على الذات (الإمكان الحضاري) .

* أسباب عطالة الأمة وعدم فاعليتها: المعوقات (التعرف على

مواطن الخلل).

* أزمة الحضارة العالمية وحاجتها إلى الرؤية الإسلامية (معرفة الآخر وتحديد الحاجة والمداخل الفاعلة).

* أولويات مشروع النهوض على مستوى الأمة، والرؤية الاستراتيجية لمستقبل العمل الإسلامي العام (دليل عمل، أو سبيل الخروج).

وكان التوجه إلى عدم تحديد المحاور التي تدور حولها المساهمات، حتى لا يشكل ذلك محددات مسبقة لرؤية الباحث، فترك الموضوع لكل باحث يتناوله من الزاوية التي يرى أهميتها، دون تحديد مسبق أو مداخل لاحقة، ومن ثم المحافظة على نص الباحث، على الرغم مما يمكن أن يوجد فيه - أحياناً - من بعض الملحوظات أو التحفظات القابلة للمناقشة.

لذلك جاءت الآراء والاجتهادات الواردة في الكتاب تعبيراً حقيقياً عن وجهة نظر أصحابها؛ وهي تشكل في محصلتها محاولة لتقديم رؤية عن الواقع الموجود، بكل ما فيه، الذي تمور به الساحة الفكرية، ونوافذ مهمة تمكن من الإطلالة على هذا الواقع الثقافي القائم.

وتتمثل المحصلة الثقافية لهذا المشروع-الكتاب في أهمية طرح الأمر، وتأكيد الرؤية المستقبلية واستدعائها إلى مجال الهم الثقافي العام، وساحة تفكير النخبة المثقفة بشكل أخص، وذلك بغض النظر عن نوعية بعض المساهمات وقدرتها على إثراء الموضوع من جوانبه المتعددة وتحقيق الهدف المأمول، حيث إنها تعتبر باكورة لدراسات مستقبلية متكاملة ونضيجة.

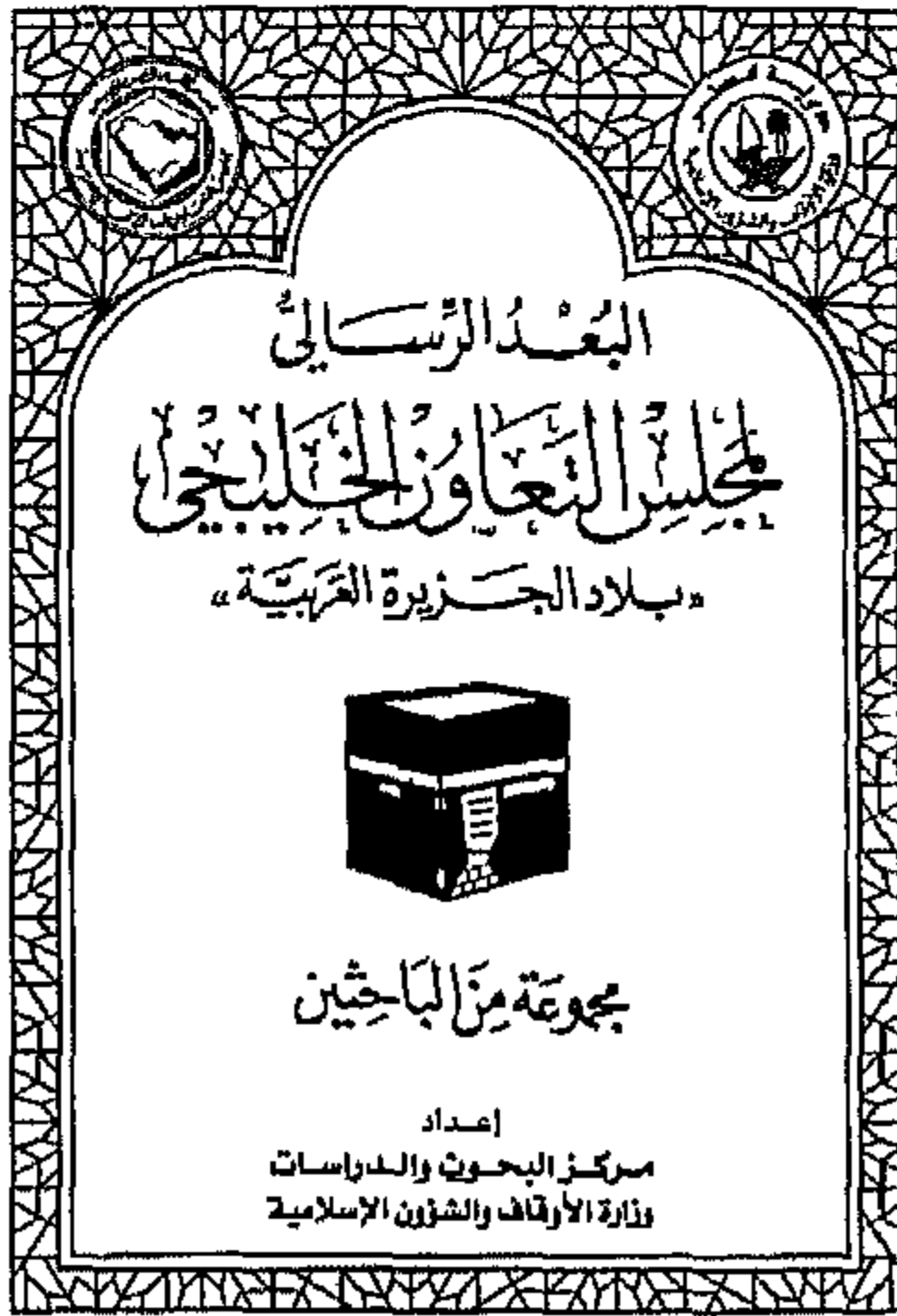
البعْدُ الرَّسَالِيُّ

لمجلس التعاون الخليجي

«بلاد الجزيرة العربية»

صدر كتاب: «البعْدُ الرَّسَالِيُّ لمجلس التعاون الخليجي.. بلاد الجزيرة العربية»، عن مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بمناسبة انعقاد الدورة الثالثة والعشرين للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية في دولة قطر، في كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٢م، إسهاماً في الدعوة إلى تجديد الانتماء وإعادة النظر والمراجعة والتقويم للواقع، في محاولة لاستشراف الماضي وإبصار المستقبل، وسعياً للارتقاء والتنمية والنهوض على مختلف الأصعدة، وتأكيداً على أهمية الاضطلاع بالدور الرسالي لبلاد الجزيرة العربية، التي اختارها الله أرضاً للرسالة الخاتمة وشرفها بالإسلام.

ويشكل الكتاب، الذي جاءت نسخته العربية في (٤٣٢) صفحة من الحجم المتوسط، رؤية للبعد الرسالي، وأحد أدلة



العمل المستقبلي أمام إنسان المنطقة وأصحاب القرار، والاستشعار بالمسؤولية الحضارية نحو الذات و(الأخر)، بحيث يكون استشراف الماضي هو السبيل لتقويم الحاضر وإبصار

المستقبل، والارتقاء بإدارة الموارد البشرية، وإدارة الموارد المادية، للعطاء الأفضل.

وشارك في هذا العمل الثقافي، الذي جاء تحت شعار قوله تعالى:

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ نخبه من الباحثين على مستوى دول الخليج العربية.

وقد اشتمل على ثلاثة محاور أساس:

المحور الأول: استشراف الماضي (التجربة الحضارية التاريخية):

- الجزيرة العربية أرض النبوة الأولى (إبراهيم أبو الأنبياء عليه الصلاة والسلام) والرسالة الخاتمة (محمد عليه الصلاة والسلام)؛

- النص السماوي، ونخاتمة وخلود الرسالة، وقدرتها على الإنتاج والنهوض تاريخياً؛

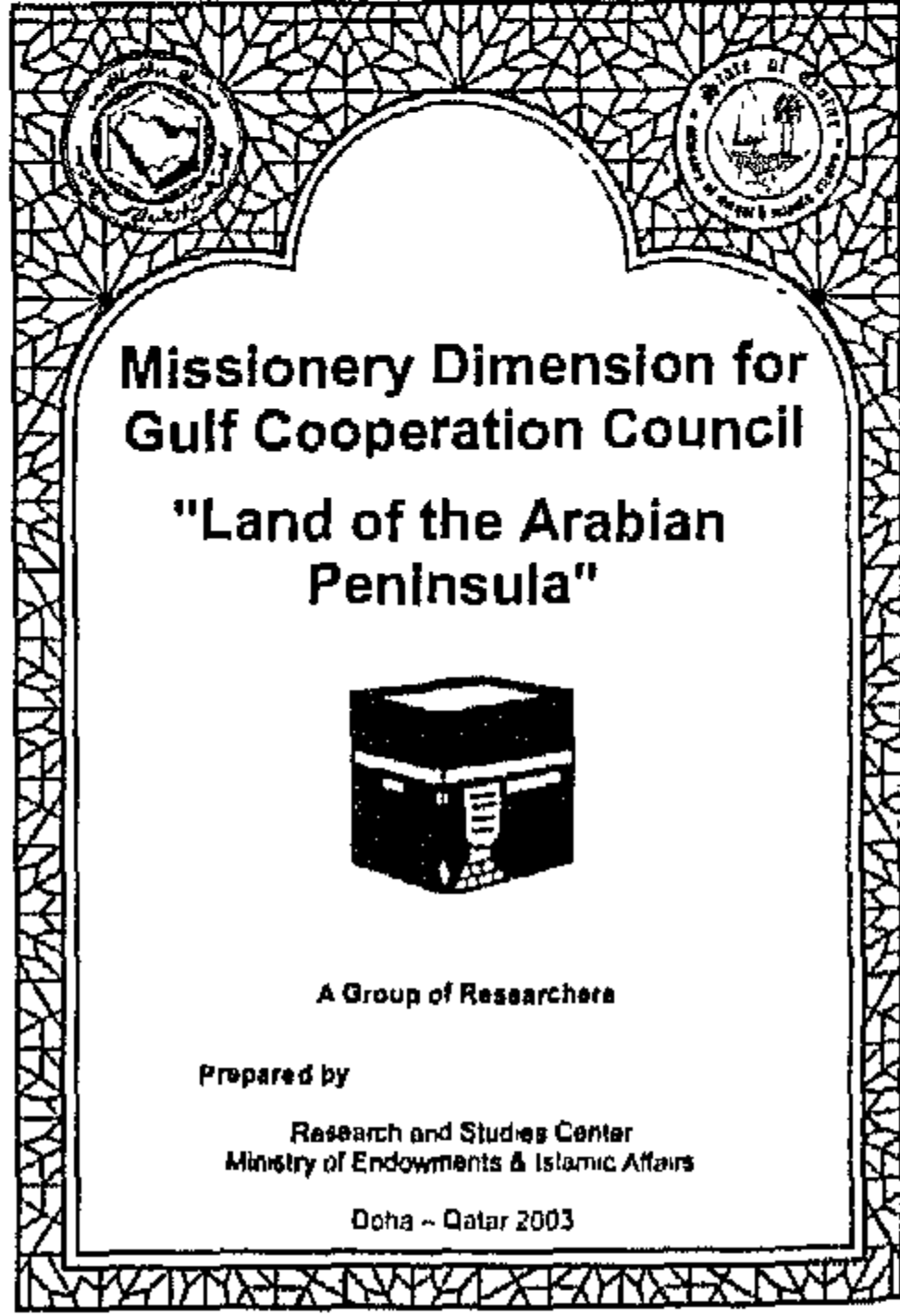
- عطاء التجربة التاريخية (القيادة الحضارية العالمية): عبرة الماضي ورؤية المستقبل.

المحور الثاني: الإمكانيات المذخورة:

- **الإمكان التاريخي:** مهبط الوحي؛ وراثته النبوة؛ التجربة الحضارية التاريخية؛ امتلاك الأنموذج التطبيقي (السيرة النبوية، وخير القرون)؛ العطاء الإنساني على مستوى الذات و(الأخر).

- **الإمكان الثقافي والاجتماعي:** عالمية الرسالة وإنسانيتها؛ امتلاك الطاقة الروحية (الحرمين)؛ الرصيد الإسلامي في العالم؛ قبله المسلمين (توجه المسلمين اليومي صوب الجزيرة العربية) دول مجلس التعاون) واستمرار الارتحال للحج والعمرة؛ عوامل

التجانس والتشكيل المشترك، والتي تؤهل للدور الرسالي:
العقيدة (القرآن)، اللغة واللهجات، التاريخ المشترك، العادات
والتقاليد وطبيعة الوحدات الاجتماعية (الأسرة والقبيلة)،
الوحدة الجغرافية، الظروف



الطبيعية (الجغرافيا)؛ التزاوج؛
التداخل السكاني (الديموغرافي).

- الإمكان الاقتصادي:

امتلاك الطاقة المادية (النفط، المحرك
الأساس لعجلة الحضارة العالمية)؛
الموقع الجغرافي؛ ارتفاع مستوى
الدخل؛ توفر الأمن الاقتصادي
والاجتماعي.

المحور الثالث: إِبصار المستقبل (الرؤية المستقبلية)

للاضطلاع بالدور الرسالي):

الحاجة الإنسانية الحضارية المتأزمة للدور الرسالي؛ مواطن
الخلل وأسباب القصور وعوامل الإعاقة؛ السبيل إلى الخروج
ومعاودة الإحياء والبعث لأمة الرسالة، لإلحاق الرحمة بالعالمين.

**** تمت ترجمة الكتاب حديثاً إلى اللغة الإنجليزية.**



الأمم كـتاب

سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر

ص . ب : ٨٩٣ . الدوحة . قطر

من شروط النشر في السلسلة

- أن يهتم البحث بمعالجة قضايا الحياة المعاصرة، ومشكلاتها، ويسهم بالتحصين الثقافي، وتحقيق الشهود الحضاري، وترشيد الأمة، في ضوء القيم الإسلامية.
- أن يتسم بالأصالة، والإحاطة، والموضوعية، والمنهجية.
- أن يشكل إضافة جديدة، وألا يكون سبق نشره.
- أن يُوثق علمياً، بذكر المصادر، والمراجع، التي اعتمدها الباحث مع ذكر رقم الآيات القرآنية، وأسماء السور، وتخريج الأحاديث.
- أن يبتعد عن إثارة مواطن الخلاف المذهبي، والسياسي، ويؤكد على عوامل الوحدة والاتفاق.
- يفضل إرسال صورة عن البحث، لأن المشروعات التي ترسل لا تعاد، ولا تسترد، سواء اعتمدت أم لم تعتمد.
- ترسل السيرة الذاتية لصاحب البحث.
- تقدم مكافأة مالية مناسبة.

هذا الكتاب.. يمكن أن يعتبر محاولة لتقديم بعض الملامح حول أساليب القرآن في الإقناع، ودعوة لاستصحاب هذه الأساليب في تعاملنا مع الثقافات الوافدة في هذه الحقبة الخطيرة من حياة البشرية، حقبة الحضارات أو صراع الحضارات والسعي لفرض أنماط ثقافية باسم العولمة والنظام العالمي الجديد، على اعتماد القرآن سبيل الإقناع من أن شعاره الكبير كان وما يزال: ﴿لَا إِكْرَاهَ﴾ .

فما يمثل دعوة للتبصر بمنهج القرآن والتعامل معه بأدوات صحيحة، والتحقق بوسائله، أو تراتبيته في الإقناع وهدم التوهم بأن الإكراه هو الذي يقنع الإنسان ويحقق نقله من الكفر إلى الإيمان. إن قيادة الإنسان تتأتى من خلال قناعاته، ومع ذلك فإن بعضنا ما يزال يعتقد أن السيف أصدق إنباء من الكتب، فيدخل الكثير من المعارك الغلط باسم الدين، ويهدر الكثير من الطاقة باسم الجهاد، مخطئ اختيار الوسيلة باسم مصلحة الدعوة، ويفتقد الحكمة في النظر.

وكم نتمنى أن الدراسات والجهود التي اجتمعت على بيان عظمة القرآن يتحول بعضها ليتبين أين الخلل، وكيف نعيد التواصل مع القرآن.. ذلك أن من أبرز خصائص القرآن أنه فائق القرآن بطبيعته حمّال أوجه، وهذا يمنح طاقة هائلة وخصبة للنظر والرؤية، ويدعو إلى إغناء الرحلة العلمية؛ وكلُّ يرتقي حسب قدراته العقلية: ﴿فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ حَسَبَ كَسْبِهِ الْمَعْرِفِي﴾ .

Bibliotheca Alexandrina



0962672

طبعاً

بجمهورية مصر العربية
الثمن ٣ جنيهات

طبع بمطابع دار أخبار اليوم